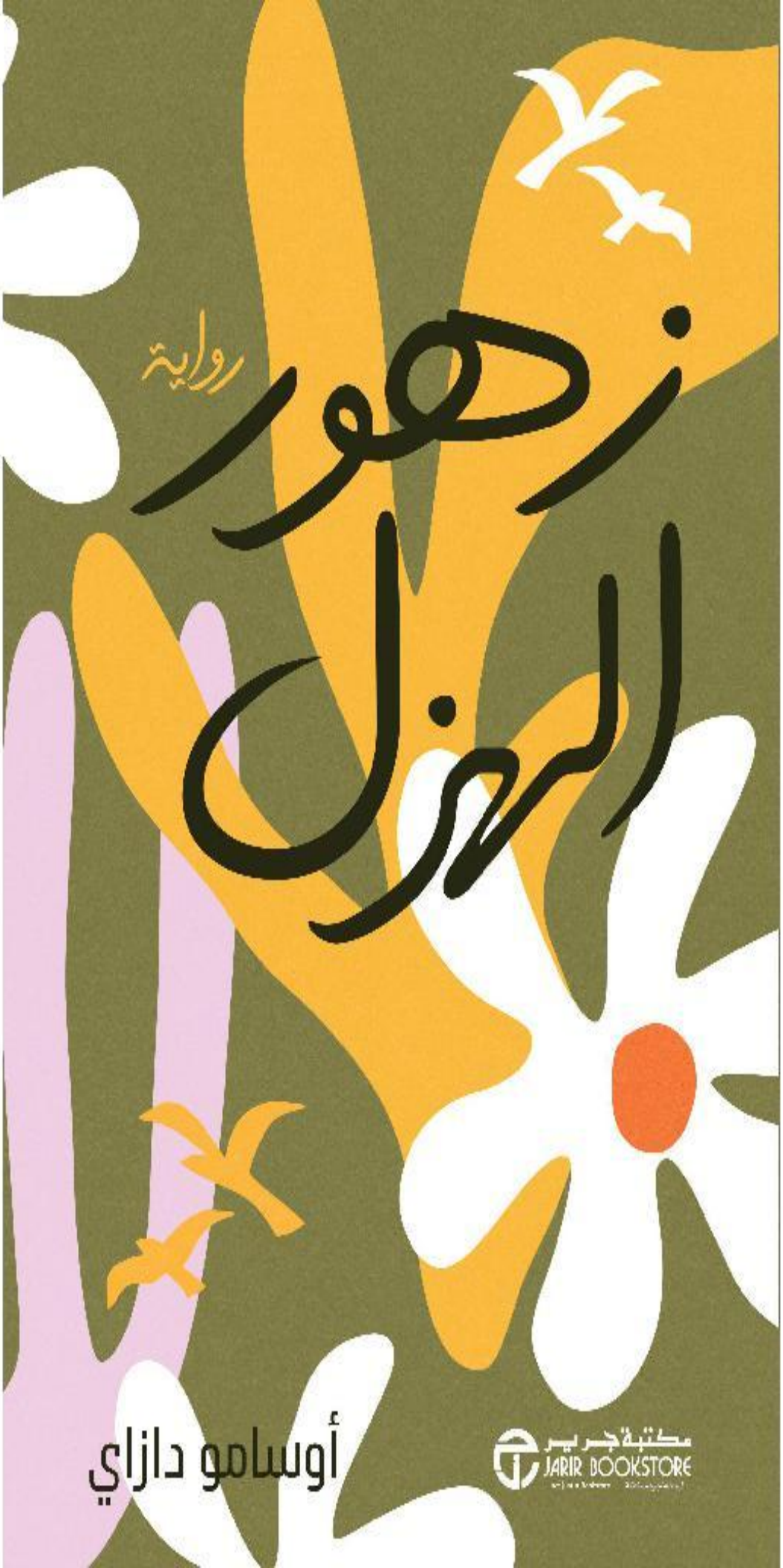
رواية
زهور الرمل
أوسامو دازاي
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

زهور الرزل

رواية

أوسامو دازاي

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore
... ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**
للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونُخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى ٢٠٢٥

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.
Copyright © 2025. All rights reserved.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو بأية وسيلة أخرى .

إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاءً شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

**رجاءً عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك.
نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.**

The Flowers of Buffoonery: Copyright © 2023 by Sam Bett
All Rights Reserved.

THE FLOWERS OF BUFFOONERY

BY OSAMU DAZAI

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ... ليست مجرد مكتبة

أيضًا بقلم أوسامو دازاي

Early Light

No Longer Human

The Setting Sun

道化の華

١٨

"مرحبًا بك في عالم الحزن. عدد السكان: واحد".

لقد تركني جميع أصدقائي. إنهم يعاودون النظر إليَّ بأعين الشفقة. عودوا يا أصدقاء. دعونا نتحدث معًا، نضحك معًا. لكن لا، إنكم تنصرفون عني كما لو أننا لم نلتقِ قط. تكلموا يا أصدقاء. اطرحوا عليَّ أسئلتكم. سأخبركم بأي شيء. لقد كنت أنا، هاتان هما اليدان اللتان سحبتا سونو تحت الماء. في تلك اللحظة، دعوت أن يتم إنقاذي في الوقت نفسه الذي دعوت فيه أن تموت سونو.

هل أسترسل في الحديث؟ لكن لماذا أتكبد ذلك العناء، يا أصدقاء، إن كنتم لن تنظروا إليَّ سوى بأعين تملؤها الشفقة؟

جلس يوزو أوبا على الفراش، محدقًا بالبحر. وكان بحرًا ملبدًا بغيوم ممطرة.

كأني أستيقظ من حلم، أعيد قراءة هذه الأسطر القليلة الأولى وأود لو أختفي وسط قبحها وبذاءتها. لكن هأنذا مجددًا بمبالغاتي السخيفة.

بدايةً، ما شخصية يوزو أوبا هذه؟ لقد ألفت شخصيته، منتشيًا بنشوة تفوق كثيرًا أي نشوة أخرى. لا يمكن أن يكون هناك اسم أفضل من ذلك لبطل روايتي. فاسم "أوبا" يلخص ببراعة روحه المفعمة بالحيوية، بينما "يوزو"، لا بد أن أقول، يتمتع بسحر جذاب. إنه يعبر عن حداثة معينة، لا يصل إليها المرء إلا إذا غاص في أعماق الأصالة. ناهيك بالتناغم الصوتي لتلك الأحرف الأربعة المتحركة المتتالية. يوزو أوبا. ألم أبهرك بالفعل بإبداعاتي؟ حسنًا إذًا، متِّع نظرك بيوزو أوبا، بطل روايتنا، الجالس على الفراش محدقًا ببحر ملبد بغيوم ممطرة. إبداع مبهر من أفضل ما يكون!

كفى. عار عليَّ أن أسخر من نفسي على هذا النحو. اعزُ ذلك إلى كبريائي المجروحة. الحقيقة هي أنني أخاف خوفًا شديدًا من التعرض للسخرية لدرجة أنني أفضل أن أسبق نقادي إليها. هذا تعريف الجبن. يجب أن أعثر على طريقة لأكون أكثر تواضعًا. آه، التواضع.

يوزو أوبا.

هيا اضحك. إنه غراب يرتدي زي طائر الغاق. سيفطن الفَطِن إلى ما أحاول فعله. بالطبع، كان بوسعي أن أتوصل إلى اسم أفضل، لكن يبدو أنني لا أكترث. ربما كان من الممكن أن أتجنب المسألة برمتها من خلال كتابة هذا بصيغة المتكلم، لكنني كتبت في الربيع الماضي رواية يتحدث فيها الراوي بصيغة المتكلم، لذا فأنا متردد بشأن تكرار الأمر بعد فترة قصيرة للغاية. إلى جانب ذلك، إن وافتني المنية غدًا، لا يمكننا الجزم بأن أحد الاستعراضيين المغرورين لن يطرح رأيه الحكيم في أنه دون راوٍ يتحدث بصيغة المتكلم، لم تكن الرواية لتفلح قط. وإن كنت سأتحدث بصراحة، فهذا هو سببي الوحيد للسماح ليوزو أوبا بأن ينجو، كما تجده هنا. أتظن أن ذلك غريب؟ حسنًا، وأنت كذلك يا صديقي.

ろ

في عام 1929، قرب نهاية شهر ديسمبر، ابتهجت مصحة ساحلية تسمى بلو باينز مانور Blue Pines Manor بوصول شخص يدعى يوزو أوبا. كان في مصحة بلو باينز ستة وثلاثون مريضًا بالسل. اثنان في حالة حرجة، وإحدى عشرة حالة بسيطة، وثلاثة وعشرون آخرون كان مرضهم في حالة مستقرة. كان الجناح الشرقي، الذي سيقطن فيه يوزو، يتألف من ردهة تضم ست غرف، جنبًا إلى جنب، حيث كانت تُستضاف "الحالات الخاصة". كانت الغرفتان الموجودتان على جانبي غرفته خاليتين، بينما كان يشغل الغرفة 1، أول غرفة في الردهة، طالب جامعي طويل لديه أنف روماني. وكانت ترقد في الغرفتين 5 و6، في الطرف البعيد، شابتان صغيرتان. كان هؤلاء المرضى الثلاثة جميعًا في مرحلة التعافي.

في الليلة السابقة، حاول حبيبان في تاموتوجورا، وهو جرف عند نهاية الشاطئ مباشرة، إلقاء نفسيهما في البحر، لكن أحد قوارب الصيد المبحرة نحو الميناء التقط الرجل، مما أنقذ حياته. إلا أن جسد السيدة لم يُعثر عليه. شكل رجال الإطفاء فرقة بحث وظلوا يدقون جرس الحريق لفترة بدت كأنها الدهر، وكانوا يحمسون أنفسهم ببعض الصيحات في ظلام الليل، وقد أرسلوا قوارب الصيد التي في حوزتهم كافة.

استمع المرضى الثلاثة بالجناح الشرقي إلى تلك الأصوات وقلوبهم تخفق. وطوال الليل كانت المصابيح البراقة الخاصة بقوارب الصيد تمشط حافة جرف جزيرة إينوشيما المدّية. لم يتمكن الطالب الجامعي ولا الفتاتان الصغيرتان من النوم. عند الفجر، جرفت الأمواج جسد السيدة إلى الشاطئ عند تاموتوجورا. كان شعرها القصير لامعًا ووجهها منتفخًا وشاحبًا.

كان يوزو يعلم أن سونو قد ماتت. كان يعلم ذلك من اللحظة التي التقطه فيها قارب الصيد من بين الأمواج المتلاطمة. عندما أفاق، تحت ضوء النجوم، كان أول ما سأله: "هل

ماتت؟". لكن أحد الصيادين طمأنه، بصوت خشن تملؤه الطيبة: "إنها لم تمت، إنها لم تمت. لا حاجة إلى القلق".

فقال لنفسه، لقد ماتت إذًا، لكنه سرعان ما فقد وعيه.

المرة التالية التي فتح فيها عينيه، كان في المصحة. غرفة ضيقة مكسوة بألواح مطلية بالجير. كانت الغرفة مليئة بالناس. وكان أحدهم يسأله عن أمور كثيرة خاصة به. وقد أجاب عن جميع الأسئلة بصراحة.

عند بزوغ الفجر، نُقل إلى غرفة مختلفة، وكانت أكثر اتساعًا. وقد اتصلت عائلته بمصحة بلو باينز في مكالمة دولية للاطمئنان عليه بمجرد أن سمعوا بالخبر. إذ كانوا يعيشون على بعد خمسمائة ميل تقريبًا.

كان من دواعي السرور الشديد للمرضى الثلاثة بالجناح الشرقي أن يرحبوا بهذا المريض الجديد كجارٍ لهم. ومن شدة بهجتهم لم يخلدوا إلى النوم إلا بعد أن أشرقت الشمس بالكامل في السماء وعلى البحر.

استلقى يوزو مستيقظًا، محركًا رأسه برفق بين الحين والآخر. كان وجهه مختفيًا بشكل جزئي تحت ضمادات بيضاء. وقد أصيب جسمه بالرضوض بفعل الأمواج التي ابتلعته والصخور التي ارتطم بها. كانت إحدى الممرضات، التي تدعى مانو، في سن العشرين تقريبًا، مكلفة برعايته. الندبة الكبيرة نوعًا ما والموجودة فوق جفنها الأيسر جعلت عينها اليسرى تبدو أكبر قليلًا من اليمنى. لكنها لم تكن قبيحة المنظر. كانت شفتها العليا قرمزية اللون مجعدة على نحو طفيف وكانت وجنتاها تتمتعان بسمرة صحية. ومن مقعدها بجانب فراش يوزو، راقبت المحيط القابع تحت السماء الملبدة بالغيوم، باذلة قصارى جهدها لكي لا تنظر إلى وجه يوزو. فقد كان في حالة يرثى لها لدرجة لم تستطِع أن تتحملها.

قرابة الظهيرة، زار اثنان من المحققين يوزو. وغادرت مانو الغرفة.

كان الرجلان مهذبين، ويرتديان بذلتين. كان لدى أحدهما شارب قصير، والآخر يرتدي نظارة ذات إطار فولاذي. أخفض ذو الشارب صوته وسأل كيف تعرف هو وسونو بعضهما على بعض. قال له يوزو كل ما يمكن أن يقال. دوَّن ذو الشارب الملاحظات في مذكرة صغيرة. وبعد أن انتهى من دفعته الأولى من الأسئلة، انحنى على الفراش وقال: "لقد ماتت، كما تعلم. وأنا لست على يقين من أنك كنت مستعدًا للحاق بها".

التزم يوزو الصمت.

ابتسم ذو النظارة ذات الإطار الفولاذي، فتجمعت بضع تجاعيد لافتة للنظر على جبينه السمين، وربت على كتف زميله ذي الشارب. "حسنًا، حسنًا. إنه متعب. من الممكن للأمر أن ينتظر".

دون أن يرفع عينيه عن يوزو للحظة، أعاد ذو الشارب المذكرة على مضض إلى جيب سترته.

بمجرد أن غادر المحققان، أسرعت مانو عائدة إلى الغرفة، فقط لتجد يوزو يبكي. دون تردد، أغلقت الباب برفق وانتظرت في الردهة.

هطلت الأمطار بعد ظهر ذلك اليوم. وكان يوزو قد استعاد ما يكفي من قوته ليتمكن من الوقوف والمشي حتى الحمام بمفرده.

اندفع صديقه هيدا إلى داخل الغرفة مرتديًا معطفًا مبللًا. تظاهر يوزو بالنوم.

سأل هيدا مانو هامسًا: "هل هو بخير؟".

"بالتأكيد، إنه على ما يرام".

"هذا مخيف".

ثنى ذراعيه الممتلئتين، وخلع المعطف المشمع نتن الرائحة وناوله لمانو.

كان هيدا نحاتًا غير معروف. وتعود صداقته مع يوزو، الذي كان هو ذاته رسامًا غير مشهور، إلى المدرسة الإعدادية. في تلك السن المبكرة، من الطبيعي لأنقياء القلب منا أن يتطلعوا إلى شخص ما في دائرتهم الاجتماعية كنوع من القدوة، وهذا بالضبط ما فعله مع يوزو. منذ بداية المدرسة الإعدادية، كان هيدا ينظر بإعجاب إلى أفضل الطلاب في فصله، لكن يوزو كان أفضلهم جميعًا. كل تعبير عَبوس أو مبتسم يصدر منه كان، بالنسبة إلى هيدا، مليئًا بالمعنى. المرة التي رأى فيها يوزو وحيدًا تمامًا على التل خلف المدرسة، صدرت منه تنهيدة عميقة، متثبتًا من أن أحدًا لم يلاحظ ذلك. لكن ما الذي قد يفوق سرور اليوم الأول الذي تحدثا فيه؟ منذ ذلك الوقت فصاعدًا، صار هيدا يقلد علانية كل ما يفعله يوزو. دخن السجائر. وسخر من معلميه. واعتاد السير جيئة وذهابًا في فناء المدرسة مشبكًا كلتا يديه خلف رأسه ومستغرقًا في التفكير. وبالطبع عرف سبب تفوق الفنانين على الجميع. ذهب يوزو إلى كلية الفنون، ورغم أن هيدا قد تخرج بعده بعام، فقد نجح في الالتحاق بالبرنامج ذاته. تخصص يوزو في الرسم، لكن هيدا انتقل متعمدًا إلى النحت. كان يحب أن يقول إنه مدين بذلك كله لمنحوتة رودين نصب بلزاك، لكن ذلك لم يكن سوى قدر من الترهات التي ألصقها بأسطورته الشخصية، كشيء يذكره بشكل عرضي بمجرد أن يصبح فنانًا خبيرًا، بينما كان هو في الواقع يشعر بالرهبة من موهبة يوزو كرسام.

كانت هذه هي النقطة التي تفرقت بهما السبل عندها أخيرًا. كان يوزو يزداد نحافة طوال الوقت، بينما عوض هيدا الفرق، مكتسبًا مزيدًا من الوزن. لكن لم يكن هذا هو الشيء الوحيد الذي يميز بعضهما من بعض. كان يوزو مفتونًا بنوع معين من الفلسفة الشعبوية وصار ينتقد الفنون الجميلة.

في حين أن هيدا قد أصبح منتشيًا بعمله أكثر قليلًا من اللازم، مثرثرًا بالكثير جدًا من ترهات عالم الفنون لدرجة أن أي شخص يسمعه يتحدث كان يشعر بالإحراج نيابة عنه. وقد ألهته عن الدراسة تخيلات بشأن إنشاء تحفة فنية لا جدال فيها.

تخرج كلاهما بدرجات منخفضة. وكان يوزو قاب قوسين أو أدنى من التخلي عن فرشاة الرسم.

وقد قال لهيدا، موقفًا إياه عند حده: "ما الرسمة إلا ملصق مفخم. الفن هراء مأثور، وهو منتج ثانوي للعقدة الاجتماعية الاقتصادية. إنه تجلٍّ لرأس المال الاجتماعي. حتى أعظم التحف الفنية لا تعدو كونها سلعة، تمامًا مثل زوج من الجوارب".

تركت هذه التعميمات المبهمة هيدا متحيرًا. فقد كان، كالمعتاد، محبًا لصديقه العزيز يوزو، بل وكان منبهرًا بعض الشيء باستخدامه للفكر المعاصر، لكن بالنسبة إلى هيدا كان سحر التحفة الفنية يطغى على كل شيء آخر. قال لنفسه، كدنا ننتهي، كدنا ننتهي، رغم أنه كان يفعل ما هو أكثر بقليل من تشكيل كتلة من الطين.

قد يقول المرء إن هذين الصديقين لم يكونا فنانين بقدر ما كانا قطعتين فنيتين. وإلا فكيف أمكنني، بالفعل، أن أصفهما مستخدمًا ضربات فرشاة بسيطة كهذه؟ ثق بي، أيها القارئ العزيز، لو قدمت لك فنانًا حقيقيًا، لأفرغت ما في معدتك قبل أن تكمل ثلاث عبارات من الوصف فحسب، وأنا أضمن لك ذلك. إن كنت لا تصدقني، فلِمَ لا تحاول أن تكتب بنفسك وصفًا روائيًا لأحد الفنانين؟

وجد هيدا صعوبة في النظر إلى وجه يوزو كذلك. ماشيًا على أطراف أصابعه كلص متسلل، تقدم بخطى بطيئة إلى جانب الفراش، وراح يحدق بخطوط المطر المتساقطة خارج النوافذ الزجاجية.

فتح يوزو عينيه وحيَّا هيدا بابتسامة ماكرة.

"لقد خدعتك".

متفاجئًا، ألقى هيدا نظرة خاطفة على يوزو لكنه أشاح بعينيه عنه على الفور.

"بالتأكيد فعلت".

"أين سمعت بالأمر؟".

ارتبك هيدا. سحب إحدى يديه من جيب بنطاله، ومسح وجهه براحته مختلسًا النظر إلى مانو، كأنه يسألها إذا كان من الآمن أن يخبره. كان تعبير مانو حادًا، وقد هزت رأسها بشكل طفيف جدًا.

"هل نُشر في الصحف؟".

"هذا صحيح".

في الحقيقة، كان هيدا قد سمع بالأمر في نشرة الأخبار، على الراديو.

كان يوزو يشعر بالنفور من أسلوب هيدا الخجول. هلا خففت من توترك الآن؟ لقد أفاق على عالم منقلب رأسًا على عقب، حيث كان صديقه منذ أكثر من عشرة أعوام يتجنبه، كأنه كائن فضائي من نوع ما.

لا، شكرًا. ومرة أخرى، تظاهر يوزو بالخلود إلى النوم.

كان هيدا متوترًا. إلا أنه بعدما ذرع الغرفة جيئة وذهابًا لبضع دقائق مرتديًا الخف المرن الذي تقدمه المستشفى، عاد أخيرًا إلى جانب فراش يوزو.

عندما انفتح الباب دون إصدار صوت، أدخل طالب جامعي يرتدي زيه الدراسي وجهه الوسيم من فتحة الباب. عند رؤيته، تنهد هيدا فعليًا في ارتياح. وقاوم الابتسام بتقليص وجنته وتوجه نحو الباب بخطوات بطيئة بطئًا مصطنعًا.

سأل هيدا: "هل وصلت للتو؟".

تنحنح الضيف الجديد، حريصًا على ألا ينظر إلى يوزو.

وقال: "أجل".

كان كوسوجه أحد أقارب يوزو. وكان يدرس القانون في الجامعة. رغم أنه كان يصغره بثلاث سنوات، فقد أعفى نفسه من الرسميات وساوى بينه وبين يوزو، كصديق. يبدو أن شباب هذه الأيام لا يشغلون أنفسهم كثيرًا بفروق السن. لقد كان في البيت لقضاء عطلة الشتاء، لكنه عندما سمع بشأن ما حدث ليوزو، ركب أول قطار سريع متجه إلى الساحل.

خرج هو وهيدا إلى الردهة للتحدث.

قال هيدا: "إن وجهك مغطى بالسخام!".

أطلق ضحكة كبيرة عميقة وأشار إلى شفة كوسوجه العليا. كانت أدخنة القاطرة قد تركت طبقة من الأوساخ على جلده.

"حقًا؟". أخرج كوسوجه منديلًا من جيبه العلوي. ومسح المنطقة الموجودة تحت أنفه. "حسنًا؟ كيف تسير الأمور؟".

"أوبا؟ إنه بخير، بوجه عام".

"حقًا؟ لقد سقط، أليس كذلك؟". مد كوسوجه شفته، ليتمكن هيدا من فحصها.

"أجل، لقد سقط بالفعل. لا بد أن العائلة غاضبة للغاية".

وضع كوسوجه المنديل في جيبه. "إنها غاضبة بالفعل. الأمر أشبه بجنازة".

"هل سيأتي أحد من البيت؟".

"شقيقه سيأتي. رغم أن والده قد أخبره بأن يوفر على نفسه العناء".

تمتم هيدا، ضاغطًا بيده على جبينه: "يا له من مأزق!".

"هل يو-يو بخير حقًا؟".

"أنت تعرفه. إنه سعيد للغاية".

هز كوسوجه رأسه وابتسم، مبتهجًا فعليًا. "لكنني أتساءل كيف يشعر بحق".

"لِمَ لا تسأله بنفسك؟".

"لا داعي. ليس هناك ما يقال. بالإضافة إلى ذلك، إنه في حالة مضطربة".

أطلق الصديقان ضحكة خبيثة.

خرجت مانو إلى الردهة.

"بإمكاننا سماعكما من الداخل. رجاءً ابحثا عن مكان آخر للتحدث".

"آه، عذرًا".

شاعرًا بالإحراج، انكمش هيدا مقلصًا جسمه الضخم بقدر المستطاع. ورمق كوسوجه مانو بنظرة فضولية.

سألتهما: "هل، اممم، تناولتما الغداء أنتما الاثنان؟".

قالا بصوت واحد: "ليس بعد".

احمر وجه مانو وانفجرت ضاحكة على تزامنهما.

بينما كان ثلاثتهم على وشك الانطلاق إلى المقصف، جلس يوزو في فراشه. ومرة أخرى، راح يحدق بالبحر الملبد بغيوم ممطرة.

"مرحبًا بك في عالم الظلام. عدد السكان: صفر".

وهذا يعود بنا مرة أخرى إلى البداية. على نحو أرعن قليلًا، إن جاز لي أن أقول ذلك بنفسي. لا بد أن أعترف، أنا لا أحب هذه الإبداعات الروائية. إلا إنني أحاول استخدامها على الرغم من ذلك. مرحبًا بك في عالم الحزن. عدد السكان: واحد. عبارة شعرية لها صدى مألوف، آتية من بوابات الجحيم مباشرة، لكنني ظننت أنها قد تفلح هنا، كافتتاحية مبهرة. ليس لديَّ دفاع آخر. حتى إن كانت هذه العبارة بعينها هي سبب فشل روايتي، أخشى أنني لا أمتلك الشجاعة الكافية لحذفها. بل وربما حتى أعبر لك عن الأمر على هذا النحو، من باب الاحتياط: حذف هذه العبارة الأولى قد يعني محو حياتي بأكملها حتى هذه اللحظة.

は

"أنا ألوم تلك الفلسفة الحديثة. الماركسية".

عبارة حوارية سخيفة بامتياز. عظيم.

كان كوسوجه هو من قالها. وبنظرة رضا في عينيه، مد يده مرة أخرى إلى كوب الحليب الخاص به.

كانت جدران المقصف الأربعة المكسوة بالألواح الخشبية مطلية جميعها باللون الأبيض. وكانت هناك صورة للمدير معلقة عاليًا على الجدار الشرقي يرتدي فيها ثلاث قلادات ذكية تشبه العملات النحاسية، وتحت ناظريه كانت هناك عشر طاولات، أو نحو ذلك، قائمة بتحفظ على أرجل طويلة رفيعة. وقد أطبق هدوء قاتل على المقصف. وجلس هيدا وكوسوجه في الركن الجنوبي الشرقي، يتناولان غداءهما.

قال كوسوجه، خافضًا صوته: "لقد كان يتحامل على نفسه بشدة حقًا. مجهدًا نفسه بالحركة في جميع أنحاء المكان بجسمه الهزيل ذلك. لا عجب في أنه أراد الموت".

قال هيدا وهو يلتهم قطعة من الخبز، متناولًا قضمات كبيرة: "أنت تدرك أنه قائد الفرع المحلي للحزب الخاص به". لم يكن يستعرض معرفته بالاختزال الشيوعي. أي شاب من جيله كان على دراية بالمصطلحات اليسارية. "لكن هناك شيء آخر يجري هنا. الفنانون لا يقومون قط بالأمور لمجرد القيام بها، كما تعلم".

أظلم المقصف. كانت شدة الأمطار تتزايد.

رشف كوسوجه رشفة أخرى من الحليب. "ها أنت ذا مجددًا، آخذًا الأمور على محمل شخصي. لكنني سأخبرك بمقصدي. خلف أي إيذاء للنفس بعينه، سيكون هناك دائمًا عامل

خارجي ما، شيء أكبر من أن يستطيع الشخص المقدم على ذلك أن يراه. العائلة كلها مقتنعة أن المرأة هي المَلومة، لكنني قلت لهم، اسمعوا، لا يمكن أن تكون هذه هي القصة بأكملها. لقد تورطت في الأمر فحسب. لا بد أن يكون هناك تفسير آخر أعم. إنهم لا يستوعبون هذا. والآن أنت تتحدث بهذه الترهات، كذلك. تعقَّل".

حدق هيدا بنيران الموقد المشتعل بجوار أقدامهما. "لكن المرأة، كانت متزوجة، أليس كذلك؟".

أنزل كوسوجه كوب الحليب الخاص به.

"أعرف. وماذا في ذلك؟ أشك أن الأمر قد خطر بذهنه حتى. بربك! الموت مع حبيبتك فقط لأن لديها زوجًا؟ هذا غير معقول". مد رقبته لإلقاء نظرة على الصورة المعلقة فوقهما. "هل هذا هو الرجل المسئول؟".

"أظن ذلك. لكن اسمع، أوبا هو الشخص الوحيد الذي يعلم حقًا ما جرى".

قال كوسوجه، موافقًا بتحفظ: "بالطبع"، ثم نظر في أرجاء الغرفة. "يوجد تيار هوائي نوعًا ما هنا. هل ستبيت الليلة؟".

التهم هيدا قطعة أخرى من الخبز وأومأ برأسه. "أجل".

هذان الولدان لا يتجادلان بحق قط. إنهما حريصان للغاية على مشاعر أحدهما الآخر، ويتنقلان بحذر من تعليق إلى آخر، باذلين جهودًا حثيثة لحماية مشاعرهما الخاصة في أثناء ذلك. وسيفعلان أي شيء لتجنب التعرض للسخرية. إنهما مقتنعان، بصدق، بأنهما إذا ما فعلا شيئًا مؤذيًا فعلًا، فسيتعين عليهما إما الموت وإما قتل الشخص الآخر. ولهذا يتجنبان الخلاف بوجه عام. ويعرف هذان الصديقان كل أنواع التعبيرات التي من شأنها أن تلطف الأمور. عشرة تدرجات مختلفة على الأقل للإيحاء بما معناه في الأساس "لا". وقبل وقت طويل من إمكانية نشوء أي شكل من أشكال الخلاف، يتبادلان البوادر الدبلوماسية.

وبينما يبتسمان ويتصافحان متجنبين التعمق في الأمور، فإن كليهما يقول في ذهنه الشيء ذاته: يا له من أحمق!

حسنًا إذًا، لقد بدأت روايتي تفقد صوابها أخيرًا. لتغيير الإيقاع، ماذا عن بضع لوحات أدبية بانورامية؟ لا أريدك أن ترفع سقف توقعاتك. فأنا أرعن أحمق عديم الفائدة. حسنًا، هيا بنا.

١٤

ساد السلام والصفاء في الصباح التالي. كان البحر هادئًا. وتطاير في السماء دخان أبيض من البركان الموجود في أوشيما، فوق خط الأفق مباشرة.

لا عليك. أنا أكره وصف المناظر الطبيعية.

فتحت المريضة بالغرفة 6 عينيها لتجد الغرفة غارقة في ضوء مطلع الربيع. تبادلت تحية صباح الخير مع ممرضتها، التي سارعت بقياس درجة حرارتها. كانت 97.5 درجة فهرنهايت. بعد الانتهاء من ذلك، خرجتا إلى الشرفة للاستمتاع قليلًا بأشعة الشمس قبل موعد تناول الطعام. لم تكن بحاجة إلى لكزة الممرضة الخفيفة لتلاحظ أن المريض الجديد كان يستمتع بأشعة الشمس في شرفته كذلك، جالسًا على مقعد من الخيزران على بُعد بضع غرف. كان يرتدي كيمونو مبطنًا، أزرق منقطًا بالأبيض، مربوطًا بشكل مهندم. وكان يحدق بالبحر، مضيقًا حاجبيه الكثيفين أمام الضوء الساطع. ليس وجهًا وسيمًا على وجه التحديد، بقدر ما تستطيع أن ترى. وعلى فترات، كان يضغط بظهر يده على الضمادة الملفوفة حول وجنتيه.

استلقت على أريكة مصممة للاستمتاع بأشعة الشمس، وراحت تراقب جارها لفترة، بينما كانت عيناها تعتادان ضوء النهار، قبل أن تطلب من ممرضتها كتابًا. كتاب Madame Bovary، على وجه التحديد. حتى ذلك الحين كانت الرواية مملة، ومن الصعب قراءة خمس أو ست صفحات دون إلقائها جانبًا، لكنها اليوم كانت عازمة على إحراز تقدم. قراءة هذا الكتاب في هذا الوقت بالذات بدت ملائمة للغاية بالنسبة إليها. قلبت الصفحات وانتقلت إلى صفحة 100 أو نحو ذلك، حيث وجدت عبارة رائعة: "زفاف عند منتصف الليل، تضيئه المشاعل، كان هذا ما أرادته إيما بحق".

استيقظت المريضة بالغرفة 5 الآن، كذلك. وعند خروجها إلى الشرفة للاستمتاع بالشمس، رأت يوزو من بعيد فسارعت عائدة إلى غرفتها. لقد أفزعها ذلك بشدة لدرجة أنها رجعت إلى الفراش. ضحكت والدتها، التي كانت تعتني بها، وهي تغطيها ببطانية. سحبت المريضة البطانية فوق رأسها وومضت عيناها سرًا في الظلام، منصتة إلى الصوت القادم من الغرفة المجاورة.

قال الصوت: "إنها جذابة!"، متبوعًا بضحكة ماكرة.

كان هيدا وكوسوجه قد باتا الليلة في الغرفة 4، متقاسمين الفراش. استيقظ كوسوجه أولًا وخرج إلى الشرفة، مضيقًا عينيه أمام الضوء. ألقى نظرة بطرف عينه على يوزو، الذي كان مستلقيًا في وضعية استعراضية مصطنعة، ثم اتبع خط بصر صديقه ليكتشف ما الذي جعله يقدم هذا الاستعراض الصغير. كانت هناك شابة صغيرة في آخر شرفة تقرأ كتابًا. خلف أريكتها كان هناك جدار حجري مغطى بطحالب رطبة. هز كوسوجه كتفيه كما يفعلون في أفلام هوليوود وقفز إلى الداخل ليوقظ هيدا من سباته.

"استيقظ. لدينا موقف هنا". كان هذان الولدان يستمتعان باختلاق المواقف. "إن يو-يو متخذ وضعية استعراضية خطيرة".

في محادثاتهما، كانت كلمة "خطيرة" تستخدم بصورة متكررة كصفة تشديدية. هذا العالم قد يكون مكانًا مملًا. من يستطيع أن يلومهما على رغبتهما في حدوث شيء مثير؟

"ما الأمر الآن؟".

نهض هيدا، مرتعبًا.

ابتسم كوسوجه ووضح الأمر.

"هناك فتاة في الخارج. ويو-يو يستعرض أمامها سماته المميزة".

راح هيدا يتقافز على الفراش. ورفع كل منهما حاجبه حتى منتصف جبهته، متبادلين نظرات ذات مغزى. "هل هي جذابة؟".

"إنها جذابة، بالفعل. ها هي بالخارج تتظاهر بالقراءة".

انفجر هيدا ضاحكًا. جلس في الفراش وارتدى سترته وبنطاله، ثم صاح: "حسنًا، دعنا نعلمه درسًا".

لم يكن ذلك في نيتهما على الإطلاق. فقد كانا يهذران. كان هذان الولدان يهذران كثيرًا بشأن أصدقائهما كما لو كان الأمر لا يعني شيئًا. كانا يتركان مزاجهما يحركهما.

"لن يتوقف أوبا حتى يصادق كل نساء الكوكب".

بعد برهة، انفجرت موجة من الضحك الرنان من غرفة يوزو، وتردد صداها في أرجاء الجناح. أغلقت المريضة المقيمة بالغرفة 6 كتابها بحدة ونظرت بريبة نحو شرفة يوزو. لكن كل ما وجدته كان مقعدًا أبيض من الخيزران، غارقًا في أشعة شمس الصباح، ولا أحد هناك. وبينما تحدق بالمقعد الفارغ، غطت في النوم.

عندما سمعت المريضة بالغرفة 5 الضحك، ألقت بالبطانية بعيدًا وتبادلت ابتسامات مبتهجة مع والدتها، التي كانت واقفة بجانب فراشها.

أيقظ الضحك الطالب الجامعي بالغرفة 1. لم يكن هناك شخص مكلف بالعناية به وكانت لديه الحرية لفعل ما يحلو له، كما لو كان ساكنًا بأحد مهاجع الطلاب. عندما أدرك أن الضحك كان صادرًا من غرفة المريض الذي وصل أمس، احمرَّ وجهه الشاحب. وليس لأنه وجد الضحك غير لائق. على العكس، لقد غمره عطف إنساني من ذلك النوع الذي ينفرد به المرضى في مرحلة التعافي. لقد كان من المطمئن للغاية سماع مثل هذه العلامة المدوية الدالة على الصحة قادمة من يوزو.

هل أنا روائي من الدرجة الثالثة أم ماذا؟ إنني لا أنفك عن الشعور بأن هذا يبدو متكلفًا أكثر قليلًا من اللازم. لقد وعدتك في البداية بشيء فظيع كلوحة أدبية بانورامية، لكنني سرعان ما انسللت عائدًا إلى تقاعسي المعهود.

لكن انتظر. لديَّ عبارة جاهزة لتبرير هذا الإخفاق بالتحديد:

المشاعر الجميلة تنشئ أدبًا سيئًا.

وفي هذه الحالة، يعد هذا السيل النثري المتكلف دليلًا على أنني لست شيطانًا رغم كل شيء. آه، ليبارك الله الشخص الذي صاغ هذه العبارة! إنها كنز لغوي. لكن لا يمكن أن يُغفر للمؤلف استخدامها سوى مرة واحدة في مسيرته المهنية. ويؤسفني قول ذلك. ففي المرة الأولى، تكون جذابة. لكن إن صممت على استخدامها مرة ثانية أو ثالثة، أيها القارئ العزيز، مختبئًا خلفها كدرع، لا يمكنك أن تتوقع شيئًا سوى التعاسة.

ほ

قال كوسوجه على نحو قاطع، وهو جالس على الأريكة بجوار هيدا: "لقد أفسدت الأمر!".

نظر إلى وجه هيدا، ثم وجه يوزو، ثم مانو، التي كانت متكئة على الباب، ليتأكد من أنهم كانوا يبتسمون جميعًا، واحدًا تلو آخر، قبل أن يدفن وجهه، وعليه نظرة رضا، في استدارة كتف هيدا اليمنى. كان هؤلاء الشباب يضحكون طوال الوقت، مقهقهين على أتفه الأشياء، في منتهى السعادة. بالنسبة إلى هؤلاء الأولاد، كان الابتسام لديهم أمرًا فطريًا كالتنفس، وكان الضحك بنفس سهولة الزفير. يجعلك الأمر تتساءل من أين اكتسبوا هذه العادة. بالنسبة إليهم، كان الضحك آمنًا، لكن عدم الضحك كان يشكل خطرًا جسيمًا. لقد وجدوه لا يقاوَم. يمكن للمرء أن يقول إنهم كانوا شرهين للضحك، غير قادرين على أن يفوتوا حتى الفتات الشارد، خوفًا من أنهم قد يُسألوا عن سبب امتناعهم عنه. لكن المحزن في الأمر بشأن هذا كله هو أن لا أحد منهم كان يستطيع أن يضحك من أعماقه. حتى وهم يكادون يسقطون من الضحك، كانوا ينتبهون للكيفية التي يبدو عليها بعضهم أمام بعض.

وليس من المستغرب أنهم كانوا يحبون إضحاك الآخرين كذلك، وإن تعين عليهم إيذاء أنفسهم لتحقيق ذلك. هذا مثال آخر على عدميتهم، بالتأكيد. لكن إن تعمقت قليلًا، أعتقد أنك ستجد التزامًا شخصيًا بخدمة الغير. سمِّه شعورًا بالتضحية. شعورًا عشوائيًا بالتضحية، يفتقر إلى هدف واضح. أي أعمال بطولية قد نجحوا في تحقيقها، كما نعرِّف مثل هذه الأمور وفقًا للقانون الأخلاقي، يمكن تفسيرها على أنها نتيجة ثانوية لهذه الحاجة الكامنة إلى خدمة غيرنا.

حسنًا، إذًا. ما يلي هو منظوري الشخصي. وهو ليس وهمًا ما تخيلته في مكتب مغبر. بل يستند كله إلى أشياء سمعتها بنفسي، بأذنيَّ ذاتهما.

ما زال يوزو يضحك. جالسًا على الفراش، هز كلتا ساقيه وضحك كالمجنون، حريصًا على ألا يُسقط ضمادته. هل كانت القصة التي أخبرهم بها كوسوجه مضحكة إلى هذا الحد؟ لتوضيح نوع القصة التي جعلت هؤلاء الشباب يقهقهون، دعني أقدم لك بعض العبارات المنتقاة.

خلال عطلته الأخيرة، ذهب كوسوجه إلى مدينة منتجعات شهيرة وسط الجبال، تبعد عن منزله بأقل من عشرة أميال، للاستمتاع بالتزلج على الجليد، ومكث هناك في النزل. في منتصف الليل، نهض ليذهب إلى الحمام. وفي طريقه عبْر الردهة، مر بسيدة شابة كانت تمكث في النزل ذاته.

كان هذا كل ما في الأمر. لكن بالنسبة إليه، كان هذا موقفًا خطيرًا. كل ما فعله هو المرور بها في الردهة، لكن ذلك ملأ كوسوجه باحتياج ملح إلى أن تراه وتنبهر بشخصيته التي لا مثيل لها. بقدر الحماقة التي ربما كان عليها ذلك، فقد استجمع كل طاقته، وفي اللحظة التي مر فيها بعضهما ببعض، اتخذ وضعية استعراضية. متوقعًا بصدق أن تسير الحياة كما خطط لها.

وخلال لحظة، فكر في كل السبل المختلفة التي قد جمعتهما معًا، واختلجت بداخله مشاعر بالغة القوة لدرجة أن قلبه كاد ينفجر. كان هؤلاء الشباب يمرون بتجربة ساحرة كهذه على الأقل مرة في اليوم. ولهذا كانوا دائمًا في ترقب. حتى عندما يكونون بمفردهم، كانوا يجربون وضعيات استعراضية مختلفة، محسنين مظهرهم باستمرار.

قد يفسر هذا سبب ارتداء كوسوجه معطفًا أزرق جديدًا، في منتصف الليل، وهو يعبر الردهة ليذهب إلى الحمام. بمجرد أن مرت به شعر يقينًا بأنه قد نجح نجاحًا باهرًا. من الجيد أنه ارتدى معطفه! متنهدًا في ارتياح، توقف أمام المرآة الكبيرة الموجودة في نهاية الردهة، ليستمتع بلحظة من التأمل، لكنه عندئذٍ رأى أنه قد أفسد الأمر على أية حال. فعند طرف معطفه الأزرق، كان سرواله الطويل المتسخ ظاهرًا على مرأى من الجميع.

قال كوسوجه، ضاحكًا هو ذاته: "يا إلهي. كان سروالي الطويل مطويًا عند الركبتين، كما تعلمون، فكان بإمكانكم رؤية ساقيَّ المشعرتين. وكان وجهي منتفخًا من النوم".

في داخله، كان يوزو بالكاد يضحك أصلًا. ولم يكن ليندهش إن كان كوسوجه قد اختلق الموقف برمته. ومع ذلك فقد ضحك عاليًا، بقدر ما ضحك الآخرون. كان أصدقاؤه يبذلون جهدًا طيبًا للتفاعل معه، على عكس أمس، وفي محاولة لرد جميلهم النبيل، قهقه قهقهة أعلى. فهم هيدا ومانو الأمر. وما دام يوزو يضحك، كانا يضحكان كذلك.

جعل هذا المشهد هيدا يشعر بطمأنينة كبيرة. إذ علم أنه من الآمن أن يعبر عما بداخله. لكنه كان ينتظر اللحظة المناسبة للتحدث. كان من الصعب معرفة متى قد يكون ذلك.

أما كوسوجه، فمن جهته، كان متحمسًا الآن وعبر عما بداخله بسهولة.

"إن مجموعتنا سيئة الحظ مع النساء. حتى أنت يا يو-يو".

كان يوزو ما زال يضحك، لكنه هز رأسه.

"أتعتقد ذلك؟".

"أجل. لا يستحق الأمر الموت من أجله".

"يبدو لي أنه حظ جيد".

كان هيدا في منتهى السعادة. لقد هدم ضحكهم أكثر الجدران مقتًا الذي كان يقف حائلًا بينهم. كان الفضل في هذا التطور المذهل يرجع بنسبة كبيرة إلى تهور كوسوجه المحبب. وقد شعر برغبة في معانقة صديقه الصغير عناقًا قويًا. رفع حاجبيه الرفيعين عاليًا، وتلعثم وهو يتحدث.

"يصعب تحديد ما إذا كان حظًا سيئًا أم لا. من يعلم لماذا حدث أي من هذا؟".

لم يكن يوزو راضيًا عما أوحى به هذا الكلام، لكن كوسوجه ساعده.

"لكننا نعلم. لقد تجادلت أنا وهيدا جدالًا خطيرًا بشأن هذا. وقد قلت إن السبب يرجع إلى عجز عقولنا عن رؤية المستقبل البعيد. لكن هيدا أخذ الأمر على نحو جدي للغاية ثم أخبرني أن هناك زاوية أخرى ينبغي وضعها في الاعتبار".

قاطعه هيدا.

"أنت على حق، لكن إلى درجة معينة فحسب. كل ما قصدته هو أنك بلا شك كنت واقعًا في الحب. وإلا فلماذا تكون على استعداد للموت معها؟".

لعدم رغبته في ترك أي مساحة ليوزو للتشكيك فيه، تكلم بسرعة، دون التفكير كثيرًا في الكلمات التي تحدث بها، لكن وَقْع ما قاله لم يبدُ مسيئًا على مسامعه. قال لنفسه برضا، نجاحًا خطيرًا.

أخفض يوزو رموشه. واختلجت في قلبه كل أشكال القوى. عجرفة. بلادة. إطراء. مكر. ذنب. إرهاق. شراسة. قتل. يأس. هشاشة. خداع. مرض. وقد كان قاب قوسين أو أدنى من الإفصاح عنها. لكن عوضًا عن ذلك، لعب دور الرجل المحزون الفؤاد وتنهد.

"لأكون صادقًا، أنا نفسي لا أعرف. يبدو أن اللوم يقع على كل شيء".

قال كوسوجه، مومئًا بالإيجاب قبل أن يتمكن يوزو من إكمال كلامه: "أنا أفهمك. هذا وارد الحدوث. مهلًا، أين ممرضتك؟ أظن أنها أرادت أن تمنحنا بعض الوقت لتجاذب أطراف الحديث".

كما شرعت أقول سالفًا، لم يكن هؤلاء الأولاد يتجادلون لتشارك الأفكار، بقدر ما كانوا يفعلون لتحسين الحالة المزاجية التي يكونون فيها أيًا كانت. لم تكن كلمة واحدة مما يقولونه حقيقية. لكن إن استمعت إليهم للحظة، فستجد قدرًا مفاجئًا وغير متوقع من

المصداقية. في وسط الخطاب الطنان، أحيانًا ما تكون هناك عبارة تتحلى بالصراحة التامة. الأشياء التي نقولها دون تفكير غالبًا ما تكون هي الوسيلة التي تخرج بها الحقيقة إلى النور.

إليك، على سبيل المثال، أسلوب يوزو في لوم كل شيء على ما قد حدث. رغم أنه قد تحدث دون وعي على الأرجح، فإن ذلك قد كشف أعمق أفكاره. داخل قلوب هؤلاء الشباب، لن تجد سوى الفوضى، بالإضافة إلى العناد الطائش. أو ربما يمكنك اختصار هذا كله في أنه أهمية ذاتية. وهي أهمية ذاتية مترفة كذلك. من ذلك النوع الذي يرتجف ويتزلزل مع أخف نسمة هواء. إذ بمجرد أن يتعرضوا لإهانة ما يتمنون الموت. فكان من الطبيعي تمامًا أن يتردد يوزو عند سؤاله عن السبب الكامن وراء محاولة إيذاء نفسه؛ كان الأمر يعني كل شيء بالنسبة إليه.

٨

مبكرًا بعد ظهر ذلك اليوم، وصل شقيق يوزو الأكبر إلى مصحة بلو بايتز. لم يكن هناك تشابه عائلي. كان سمينًا سمنة مدهشة. وكانت طيات الهاكاما التي يرتديها مكوية.

قاده مدير المصحة حتى باب غرفة يوزو، حيث سمعا ضحكات عالية مبتهجة. تظاهر شقيق يوزو بعدم التعرف على الصوت.

سأل: "هل هذه الغرفة هنا؟".

قال له المدير، وهو يفتح الباب: "أجل. إنها هي. وهو على ما يرام".

قفز كوسوجه من الفراش، شاعرًا بخجل شديد. فقد كان مستلقيًا هناك، في مكان يوزو. بينما كان يوزو وهيدا جالسين جنبًا إلى جنب على الأريكة، يلعبان بأوراق الكوتشينة، لكن كليهما سارع بالنهوض. كانت مانو تحيك على مقعد بجانب الفراش، لكنها تفاجأت هي الأخرى وسارعت بإخفاء أدوات الحياكة خاصتها.

همس المدير، ملتفتًا إلى الوراء باتجاه شقيق يوزو بينما كان يتقدم إلى جانب فراش المريض: "لقد ظل أصدقاؤه برفقته. هذا يحافظ على المعنويات مرتفعة. إنك تبدو بخير، يا سيد أوبا".

أجابه يوزو قائلًا: "شكرًا"، رغم أن فعل ذلك جعله يشعر بالتعاسة.

كانت عينا المدير تبتسمان خلف نظارته.

"الحياة في المصحة لا بأس بها، أليست كذلك؟".

للمرة الأولى، شعر يوزو بثقل الجريمة، لكنه رد بابتسامة فحسب.

في أثناء ذلك، كان شقيقه مهتمًا بالرسميات، شاكرًا هيدا ومانو على وقتهما ودعمهما بسلسلة من الانحناءات المتجهمة.

وخاطب كوسوجه بشكل منفرد.

"هل قضيت الليلة هنا؟".

قال، وهو يحك رأسه: "أجل. الغرفة المجاورة كانت متاحة، لذا فقد سمحوا لي أنا وهيدا بالمبيت".

"حسنًا، الليلة ستبيت عندي. لقد استأجرت مكانًا في إينوشيما. تعالَ أنت أيضًا يا هيدا".

"حسنًا".

تجمد هيدا، وهو لا يدري ماذا يفعل بأوراق الكوتشينة الثلاث التي كان يحملها.

التفت الشقيق إلى يوزو كأن كل شيء قد حُسم.

"يوزو، أنت في حال أفضل الآن؟".

قال بوجه ممتعض: "أجل".

فجأة بدأ شقيقه يثرثر.

"هيدا، تأكد أن المدير لديه كل ما يحتاج إليه. سنخرج لتناول الغداء، كلنا. إنني لم أزُر أيًا من معالم إينوشيما. ربما يتكرم المدير ويرينا المنطقة؟ هيا بنا. لديَّ سيارة تنتظر بالخارج. الطقس جيد".

أنا نادم على إضافة هذين الراشدين إلى القصة. لقد أفسدا كل شيء. ذلك الجو العام المثير الذي أنشأته ببراعة كبيرة بيني أنا ويوزو وكوسوجه وهيدا قد تلاشى تمامًا، بسبب هذين

البالغين. لقد أردت لهذه الرواية أن تكون قصة رومانسية مثيرة للمشاعر. بدءًا من الزوبعة العاصفة الموجودة في الصفحات القليلة الأولى. كنت آمل أن أفك وأحل جميع الخيوط المختلفة. بقدر ما قد ألفت الانتباه إلى رعونتي، فقد نجحت بطريقة ما في الوصول بنا إلى هذا الحد، لكن كل شيء على وشك الانهيار الآن.

سامحني! لقد اختلقت الأمر. كنت أتظاهر بالغباء. لقد فعلت كل شيء عن قصد. بينما كنت أكتب، بدأت أشعر بالخزي من فكرة الـ آه، القصة الرومانسية المثيرة للمشاعر هذه، لذا فقد دمرتها عمدًا. إذا انهارت الأمور بحق، فقد كان كل ذلك جزءًا من الخطة. أتقول: "ذوق سيئ"؟ لعله كذلك، لكن هاتين الكلمتين تلخصان الشعور المزعج الذي أشعر به في قلبي. إن كنت تسمي الاهتمام الخبيث بترهيب الناس ذوقًا سيئًا، فلعله يكون مصطلحًا ملائمًا للطريقة التي أتعامل بها مع العالم. إنني أرتعب من الفشل. ولا أحتمل انكشاف أسرار قلبي. لكن مثل هذه الجهود تضيع سدى. آه! أليست هذه هي حال جميع المؤلفين؟ يسارعون بتجميل اعترافاتهم. إنني بالكاد أشبه البشر. هل سأكون يومًا عضوًا فعالًا في المجتمع؟ حتى وأنا أكتب هذه الكلمات، أتخوف من الكيفية التي ستبدو عليها العبارات.

حان الوقت لمواجهة الحقائق. هذا النمط المتمثل في إقحام نفسي كراوٍ بين المشاهد، حتى يتسنى لي أن أثقل كاهلك بتشدقات لانهائية لا يحتاج أحد إلى سماعها، له دافع خفي. لقد كنت أستغل مكانتي كراوٍ لخداع القراء، مستخدمًا أسلوب الراوي الذي يتحدث بصيغة المتكلم لإضفاء اختلاف غير معتاد على العمل. إذ كنت مغرورًا بما يكفي للاعتقاد بأنني أستطيع أن أكون أول مؤلف ياباني يستخدم مثل هذا الأسلوب الغربي المتميز. ومع ذلك، فقد فشلت. لكن لا، حتى هذا الاعتراف قد يعتبر جزءًا من مخطط الرواية الكبير. لذا كما ترى، لا يمكنك أن تثق بي. لا تصدق كلمة واحدة أقولها.

لِمَ أزعج نفسي بكتابة الروايات؟ هل يغريني مجد الشهرة الأدبية أم إنني ببساطة أرغب في كتابة أعمال تحقق أعلى المبيعات لأربح أموالًا طائلة؟ دعني أوفر عليك الأداء المصطنع. أنا أريد الاثنين. أريدهما بشدة إلى حد مؤلم. لكن هأنذا مجددًا، أكذب كذبة

وقحة أخرى. كذبة من ذلك النوع الذي يملؤك بالتوتر وأنت غير منتبه. كذبة دنيئة ومقيتة إلى أقصى حد. لِمَ أزعج نفسي بكتابة الروايات؟ كان لزامًا عليَّ أن أطرح السؤال. حسنًا. سأجازف بمنحك تفسيرًا طنانًا، وأعبر لك عن الأمر على هذا النحو.

لأنتقم.

دعنا ننتقل إلى المشهد التالي. أنا فنان حقيقي، ولست عملًا فنيًا. إذا أضفَت اعترافاتي البغيضة اختلافًا يسيرًا على هذا العمل، فهذا رائع.

٤

بقي يوزو ومانو بمفردهما. كان يوزو في قمة اليقظة، فصعد على الفراش وراح يطرف بعينيه، ممحصًا الأمور. جلست مانو على الأريكة وجمعت أوراق الكوتشينة.

أدخلت الأوراق في علبتها البنفسجية الصغيرة. "هذا هو شقيقك الأكبر إذًا؟".

قال يوزو، وعيناه مثبتتان على السقف العالي المطلي بالجير: "أجل. هل هناك أي تشابه؟".

بمجرد أن يفقد الكاتب شغفه بموضوعه، تُظهِر عباراته انخفاضًا ملحوظًا في الجودة. في الحقيقة، أنا أسحب كلامي. تلك العبارة الأخيرة كانت مبهرة.

"لديكما الأنف ذاته".

ضحك يوزو عاليًا. كل أفراد عائلته كان لديهم أنف جدته الطويل.

سألت مانو، وهي تشاركه الضحك: "لا بد أنه أكبر منك سنًا، أليس كذلك؟".

التفت إليها يوزو قائلًا: "شقيقي؟ أجل. لكنه صغير جدًا في السن. أربعة وثلاثون عامًا. لكنه يتصرف كأنه زعيم، مليء بالعجرفة والغرور".

اختلست مانو النظر إلى وجه يوزو. كان جبينه مقطبًا وهو يتحدث. أسرعت بتحويل عينيها عنه.

"إنه يظن أنه يعرف كل شيء. كما ترين، والدنا...".

لكنه أوقف نفسه في منتصف العبارة. لقد صار يوزو رزينًا. متعاونًا معي، لمرة، بدلًا من أن يعمل ضدي. يا للطفه!

نهضت مانو وتوجهت إلى الرف الموجود في الركن لتستعيد أدوات الحياكة خاصتها. وكما حدث آنفًا، جلست في المقعد المجاور لفراش يوزو وبدأت الحياكة، لكن مانو كانت تفكر كذلك. ليس في الفلسفة، أو الحب، بل أبعد من ذلك بخطوة، كانت تتفكر في السبب الدفين وراء هذا كله.

ينبغي أن أتوقف وأنا متقدم. كلما طال حديثي، قلت عقلانيته. يبدو أنني لم أكد أتطرق بشكل سطحي حتى إلى ما يهم بحق. ولا غرابة في هذا. هناك الكثير جدًا لم أشمله. وهذا منطقي تمامًا، حقًا. فجزء من كونك روائيًا هو أن تكون غافلًا عن قيمة العمل. بقدر ما يؤلمني ذلك، ليس أمامي خيار سوى الاعتراف به. أنا أحمق لاعتقادي بأنه سيكون لعملي اعتبار في نظري. لا سيما عند التحدث عن اعتبار أنه أمر مفروغ منه. ومحاولة التعبير عنه بالكلمات أبرزت مجموعة مختلفة تمامًا من الاعتبارات. وبمجرد أن بدأت التكهن بهذه الاعتبارات، هرعت مجموعة جديدة لتأخذ مكانها.

إنني ألعب دور الأحمق المحكوم عليه بملاحقتها إلى الأبد. سواء كان هذا الكتاب فاشلًا أم ناجحًا نجاحًا معقولًا، فلست أنا من يقرر ذلك. لكن إن كان عليَّ أن أخمن، فإن هذه الرواية ستثمر عن شيء ذي قيمة أعلى بكثير مما أستطيع استيعابه. لقد جاءتني هذه القصة بطريقة غير مباشرة. إنها لا تحكي عن تجربتي الشخصية. وهذا سبب إضافي يجعلني مستميتًا لتصديق ذلك. فإن إيماني بقدراتي يتناقص، بصراحة.

ち

أُضيئت الأنوار. دخل كوسوجه الغرفة بمفرده وذهب مباشرة إلى يوزو، الذي كان لا يزال في الفراش. همس في أذنه. وهو يكاد يخنقه.

"لقد احتسينا بضعة مشروبات. لا تخبر مانو".

أخرج زفيرًا عميقًا في وجه يوزو. كان مخالفًا للقواعد أن تعود إلى المستشفى إذا كنت قد احتسيت الشراب.

ناظرًا خلفه نظرة خاطفة تجاه مانو، التي كانت تحرز تقدمًا في حياكتها على الأريكة، أعلن كوسوجه إعلانًا ثانيًا، بصوت مرتفع هذه المرة، ليسمعه الجميع. "لقد ذهبنا لمشاهدة معالم إينوشيما. كان ذلك ممتعًا للغاية". لكنه عندئذٍ أخفض صوته مجددًا ليصير همسًا. "أنا أمزح فقط".

نهض يوزو وجلس على حافة الفراش.

سأل كوسوجه: "لقد كنت تحتسي الشراب طيلة هذا الوقت؟ ليس كأنني أهتم. لا بأس بذلك. أليس كذلك يا مانو؟".

ابتسمت مانو، مواصلة الحياكة بوتيرة ثابتة. "لا يمكنني أن أقول إنه لا بأس بذلك".

استلقى كوسوجه على الفراش، ووجهه إلى أعلى.

"لقد تحدثنا، جميعًا، كما ترى. مع المدير. إن شقيقك ذاك ماكر للغاية. اتضح أنه يمكنه بحق إبرام الاتفاقات".

التزم يوزو الصمت.

"غدًا، سيذهب هو وهيدا للتحدث مع الشرطة. للتأكد من أن كل شيء على ما يرام. لكن هيدا أحمق. فهو في منتهى التوتر. إنه سيبقى على الجزيرة الليلة، مع شقيقك. لكن أنا لم يعجبني ذلك، لذا فقد عدت".

"دعني أخمن، كان شقيقي ذاك يتحدث عني من وراء ظهري".

"أجل. لقد نعتك بالمغفل. وقال لا أحد يدري ما المشكلات التي ستوقع نفسك فيها المرة القادمة. لكنه قال إن والدك ليس أفضل حالًا. يا مانو، هل بوسعي التدخين هنا؟".

"بالطبع". كانت على وشك البكاء، شفقة على هؤلاء الأولاد.

"يمكنك سماع الأمواج من هنا. ليس سيئًا بالنسبة إلى مستشفى". قرب كوسوجه السيجارة غير المشتعلة من شفتيه وأغلق عينيه، لاهثًا بصعوبة. بعد لحظة، انتصب جالسًا. "كدت أنسى، لقد أحضرت لك كيمونو. إنه هناك".

أومأ بذقنه ناحية مدخل الباب.

ألقى يوزو نظرة على الحزمة الموضوعة بجوار الباب، قطعة كبيرة من قماش الفوروشيكي المزين بزخارف الكاراكوسا. جعله هذا يعبس. عندما كان هؤلاء الشباب يتحدثون عن أقاربهم، كانت تعابير وجوههم تصبح عاطفية نوعًا ما. لكن ذلك لم يكن سوى تمثيل. كانت تلك التعابير نتاجًا للتعليم الذي تلقوه وهم صغار. يبدو أن العائلة لم تكن تعني لهم أكثر من تعبير ألطف من الحساب المصرفي.

"هذا هو المتوقع من والدتي".

"أجل، لقد قال شقيقك الشيء ذاته. وقد كانت الأكثر تأثرًا بتلك الحادثة بأكملها. إنها قلقة للغاية. وقد أرادت أن تضمن حصولك على ملابس لائقة. إنني أشعر بالأسى عليها، صدقًا. يا

مانو، ألديكِ عود ثقاب؟". أخذ كوسوجه علبة ثقاب من مانو وحدق بوجه الحصان المرسوم على الملصق. "أظن أن المدير قد أعارك الكيمونو الذي ترتديه؟".

"هذا؟ أجل. لكنه يخص ابنه. بماذا أخبرك شقيقي الغادر عدا ذلك؟".

"لا تنفعل الآن". لمس سيجارته بعود الثقاب المشتعل. "لا بد أن أعترف، شقيقك شخص واعٍ جدًا. إنه يفهمك. حسنًا، ربما تكون هذه مبالغة. لكن الطريقة التي يتصرف بها تجعلك تعتقد أنه قد رأى كل شيء. لقد تحاورنا، جميعًا، عما كان السبب، كما تعرف، وراء كل ما حدث لك، لكننا كنا نضحك طيلة الوقت". صنع كوسوجه حلقات من الدخان. "من وجهة نظره، لقد كنتَ مفلسًا وتحتاج إلى المال. وكان يعني حقًا ما قاله، كذلك. لكنه بطريقة غير مباشرة، لمَّح إلى أنه لا بد أنك قد أُصبت بمرض محرج وكنت يائسًا بحق".

التفت كوسوجه إلى يوزو بعينين متعبتين.

"حسنًا؟ لن أستغرب ذلك".

١

بما أن كوسوجه كان الشخص الوحيد الذي سيقضي الليلة، بدا أنه من الإهدار أن يشغل غرفة كاملة بمفرده، لذا فقد تناقشوا في الأمر واستنتجوا أنه من الأفضل أن يبيت مع يوزو. وقد نام على الأريكة التي بجانب الفراش. كانت منجدة بمخمل أخضر، وبها آلية مفصلات غير آمنة تتيح فردها لتصبح فراشًا. كان هذا هو المكان الذي تنام فيه مانو عادة، لكنها الليلة، بسبب كوسوجه، لجأت إلى النوم على حصيرة استعارتها من المكتب وفردتها في الركن الشمالي الغربي للغرفة، على مقربة من حافة فراش يوزو. لإكمال مكان مبيتها، نصبت مانو حاجزًا قصيرًا قابلًا للطي لا أحد يدري من أين حصلت عليه، لتحقيق نوع من الاحتشام.

"لا تريدين المخاطرة، أليس كذلك؟". مستلقيًا على الأريكة، نظر كوسوجه إلى الحاجز المتهالك وقهقه. "ما رأيك بهذا، إنه مزخرف بزهور الخريف السبع".

لفت مانو قماش الفوروشيكي حول المصباح المعلق فوق رأس يوزو لخفت الإضاءة، وبعدها قالت للرجلين تصبحان على خير وزحفت خلف الحاجز.

وجد يوزو صعوبة في الخلود إلى النوم.

قال، متقلبًا في الفراش: "الجو بارد".

قال كوسوجه: "إنه بارد بالفعل. لقد جعلني أستفيق".

تنحنحت مانو. "هل أُحضر بطانية أخرى؟".

ضيق يوزو عينيه.

"لي؟ أنا على ما يرام. كل ما في الأمر أنني لا أستطيع النوم. إنه صوت الأمواج".

أشفق كوسوجه على يوزو. يا لنضجه الهائل! بطبيعة الحال، ما رآه كوسوجه مثيرًا للشفقة لم يكن في الواقع يوزو، في موقفه الحالي، بل فكرة وجوده هو شخصيًا في الموقف ذاته، أو لعله الموقف بحد ذاته كفكرة عامة. يتدرب البالغون تدريبًا مستفيضًا على النظر إلى الأمور بهذه الطريقة، مما يسهل عليهم كثيرًا التعاطف مع الآخرين. إذ تعد كل دمعة مصدرًا للفخر. وصحيح أن الشباب كذلك ينغمسون أحيانًا في هذا النوع من الانفعال المبتذل. لكن إن كان البالغون لا يكتسبون هذه القدرة إلا بعد تقديم تضحيات في حياتهم، وهذا تعبير سخي، فمن أين يتعلم الشباب ذلك؟ من الروايات التافهة كهذه الرواية؟

"يا مانو، قصي علينا قصة. أتعرفين أي قصص جيدة؟".

لعب كوسوجه دور الطفل المدلل، واضعًا على عاتقه مسئولية تحسين مزاج يوزو.

قالت مانو من خلف الحاجز: "هممم". كان هناك حس دعابة جيد في نبرتها، لكنها لم تقل شيئًا آخر.

قال كوسوجه: "لا تترددي". كان هؤلاء الأولاد متلهفين دائمًا للشعور بالإثارة.

لا بد أن مانو كانت تفكر مليًا في الأمر، لأنها لم ترد على الفور.

وأخيرًا قالت: "لا يمكنكما إخبار أي شخص"، ثم أضافت بصوت أكثر انخفاضًا: "لكنها قصة مخيفة. هل ستكون بخير يا كوسوجه؟".

"بالطبع، بالطبع!". كان متحمسًا.

وقعت القصة في الصيف الذي كانت فيه مانو في التاسعة عشر من عمرها، في أول وظيفة لها كممرضة. حاول أحد الأولاد إلقاء نفسه في البحر بسبب امرأة وقد وجدوه وأحضروه

إلى المستشفى. وطلبوا من مانو الاعتناء به. وقد كان يتعاطى المخدرات. كانت هناك بقع بنفسجية في كل أنحاء جسمه. لم يبدُ أنه كان بوسعهم إنقاذه.

لكنه في تلك الليلة استعاد وعيه، مرة أخرى.

خارج النافذة، رأى صفًا من السلطعون الساحلي الصغير يزحف بسرعة عبر الجدار الحجري. قال إنها في غاية الجمال. كان السلطعون حيًا، وفي أفضل حال، لكن أصدافه كانت حمراء، كما لو كان مطهوًا. وقال بمجرد أن أتحسن، سأحضر بعضًا منه إلى المنزل، وأصلح الأمور، لكنه عندئذٍ فقد وعيه مجددًا.

في تلك الليلة، أفرغ المريض معدته في الحوض مرتين وفارق الحياة. وكُلفت مانو بالانتظار معه في الغرفة حتى تصل عائلته. لمدة ساعة تقريبًا، بذلت قصارى جهدها، جالسة على مقعد في ركن الغرفة، ووجهها إلى الجدار. لكنها عندئذٍ ظنت أنها قد سمعت صوتًا خلفها. لم تجرؤ على التحرك قيد أنملة، وقد سمعت الصوت مجددًا، على وجه اليقين هذه المرة. وقع خطوات أقدام صغيرة. استجمعت شجاعتها، واستدارت، وخلفها مباشرة على الأرض كان هناك سلطعون أحمر صغير. وعند رؤيتها للمخلوق، بدأت تبكي.

"كان الأمر غريبًا للغاية. كان هناك سلطعون فعلًا، بجواري مباشرة. سلطعون حقيقي. لقد كدت أستقيل من العمل كممرضة، في التو واللحظة. بإمكان عائلتي العيش بصورة جيدة دون أن أعمل على أي حال. لكن عندما قلت هذا لوالدي، ضحك مني فحسب. حسنًا يا كوسوجه، ما رأيك بذلك؟".

صاح كوسوجه على نحو مبالغ فيه لإثارة حماسها: "رائع جدًا. أي مستشفى كان ذلك؟".

مترددة في الإجابة، تململت مانو على حصيرتها وتحدثت بصوت منخفض للغاية لدرجة أنهما بالكاد تمكنا من سماعها.

"عندما اتصل بي المستشفى بخصوص السيد أوبا، كنت أنوي الرفض. لقد كنت متجمدة فعليًا من الخوف. لكن بمجرد أن أتيت إلى هنا ورأيته، شعرت بارتياح شديد. لقد كان في حالة جيدة بالفعل وطمأننا من البداية أنه يستطيع استخدام الحمام بمفرده".

"لكنني سألت عن المستشفى. لم يكن هذا، أليس كذلك؟".

استغرقت مانو لحظة، لكنها أجابت.

"بلى، إنه كذلك. هذا هو المستشفى. لكن كما قلت، لا يمكنكما إخبار أي شخص بأنني قد أخبرتكما بذلك. إن سمعتي على المحك".

تحدث يوزو بصوت ناعس. "مهلًا، لا تخبريني بأنها كانت هذه الغرفة".

"لم تكن هي".

قال كوسوجه، مقلدًا يوزو كالببغاء: "مهلًا! لا تخبريني بأنها كانت الغرفة التي بتنا فيها الليلة الماضية".

ضحكت مانو.

"لم تكن هي. لا تقلق. لو كنت أعرف أن الأمر سيزعجكما إلى هذا الحد، أوه، لم أكن لأخبركما أبدًا".

قال كوسوجه، مومئًا بحصافة: "الغرفة 6، إذًا. لا تطل أي من الغرف الأخرى على الجدار الحجري. لا بد أنها الغرفة 6. أتدركين أن المريضة المقيمة هناك مجرد فتاة؟ هذه قسوة".

"لا داعي إلى الانفعال. لنخلد إلى النوم. لقد كنت أكذب. وقد اختلقت القصة بأكملها".

لكن أفكار يوزو كانت في مكان آخر. كان يتفكر في شبح سونو. في مخيلته، كان يستطيع أن يرسم محيط جسمها الجميل. كان بإمكان يوزو، أحيانًا، إظهار هذا النوع من الإخلاص. لم يكن هو وأصدقاؤه يخوضون في الأمور الروحانية، لكن ربما كان ذلك دليلًا على مدى قربهم إلى الله بالفعل. أنا أدرك أن التطرق إلى "المسائل الروحانية" بشكل عرضي، أيها القارئ العزيز، قد يجعلك تنتقدني لكوني شخصًا سطحيًا، أو ساذجًا. أوه، من فضلك سامحني. حتى أدنى المؤلفين يرغبون في مساعدة شخصياتهم على أن يكونوا أقرب إلى الله من بقيتنا. لكنني سأقدم لك ما هو أفضل من ذلك. لم يكن يوزو قريبًا إلى الله فحسب، بل كان شديد الروحانية. كناسك يعزل نفسه عن العالم ويضحك بينه وبين نفسه على المشهد بأكمله.

٨٤

في اليوم التالي، دبت الحياة في المستشفى. كانت الثلوج قد تساقطت خلال الليل. وكانت قمم الآلاف من أشجار الصنوبر القزمية النامية في حديقة المصحة الأمامية مغطاة بالثلوج على نحو منتظم، بينما كانت كل درجات السلم الثلاثين المؤدية إلى الشاطئ، والرمال كذلك، مغطاة بطبقة خفيفة منها. ظلت الثلوج تتساقط على نحو متقطع حتى منتصف اليوم.

كان يوزو في الفراش، مستلقيًا على بطنه وهو يرسم المنظر الطبيعي المغطى بالثلوج. كان قد أرسل مانو لشراء دفتر من أوراق الفحم وقلم لكنه لم يبدأ الرسم إلا بعدما تساقطت آخر كمية من الثلوج.

كانت المصحة مشرقة بفعل انعكاس الثلوج. استلقى كوسوجه على الأريكة، وراح يقرأ إحدى المجلات. ومن حين لآخر كان يلف رقبته ليرى التقدم الذي يحرزه يوزو في رسمته. لقد كان يبجل الفنون، مهما كانت مبهمة. كان ذلك شعورًا نابعًا من تقديره لشخص يوزو. إذ كان كوسوجه يراقبه من سن صغيرة. ولطالما عرف أن يوزو كان شخصًا غريبًا. خلال اللعب معه طوال طفولتهما، استنتج أن هذه الغرابة كانت علامة على ذكائه. منذ أن كانا صبيين، كان يتطلع إلى يوزو في ما يتعلق بأسلوبه وقدرته على الكذب، وشغفه، وشراسته. وكان معجبًا على نحو خاص بالنظرة المشرقة التي كانت تتسلل إلى عينيه خلال أيام دراسته، عندما كان يشكو من معلميه. لكن على عكس هيدا، كان إعجابه إعجاب شخص متفرج. من ذلك المنطلق، كان دبلوماسيًا. إذ كان يبقى إلى جوار يوزو لأبعد مدى ممكن، لكن بمجرد أن يشعر بالانزعاج، كان يتراجع إلى الوراء ويشاهده من مقاعد المتفرجين. قد يقول المرء إن كوسوجه كان أكثر حداثة من يوزو أو هيدا.

إذا كان هناك أي شيء جوهري خلف تبجيل كوسوجه للفنون، فلقد جسدته الحكاية المذكورة أعلاه على نحو مثالي، حين ذهب إلى الحمام مرتديًا معطفه الأزرق الجديد. كان ميالًا إلى توقع الأفضل من الحياة. من وجهة نظره، إذا بذل رجل مثل يوزو جهده الجهيد في عمله، فلن تكون النتيجة أقل من إعجازية. لقد كان أمرًا بسيطًا بالنسبة إليه. لأنه كان يثق ثقة تامة بيوزو. لكن من وقت لآخر، كان يشعر بخيبة الأمل. كالآن، على سبيل المثال، مختلسًا النظر إلى رسمة يوزو. وقد شعر بالنفور. الشيء الوحيد المرسوم على ورقة الفحم كان منظرًا طبيعيًا مملًا للجزر والبحر. بحر عادي، وجزر عادية، كذلك.

فقد كوسوجه اهتمامه بالرسمة وانغمس في القصة التي كان يقرؤها في المجلة. كانت الغرفة باردة بعض الشيء.

كانت مانو في مكان آخر، تغسل قميص يوزو الصوفي في غرفة الغسيل. كان ذلك هو القميص الذي قفز به في المحيط. كانت تفوح منه رائحة الأجراف.

في فترة ما بعد الظهر، عاد هيدا من قسم الشرطة ودلف مسرعًا من الباب.

صاح، عند رؤيته للرسمة، قائلًا: "يا للروعة! إنك تعمل. هذا مذهل. دائمًا ما يكون الفنانون في حال أفضل وهم يعملون".

سار هيدا إلى الفراش وألقى نظرة من فوق كتف يوزو على ورقة الفحم، لكن يوزو طوى الورقة في عجلة إلى نصفين ثم طواها مرة أخرى إلى أربعة أرباع.

قال بنبرة مترددة: "لا فائدة. إذا أسهبت في ذلك أطول من اللازم، فستنتهي بي الحال وقد غاليت في التفكير في الأمور".

جلس هيدا على حافة الفراش، وهو ما زال يرتدي معطفه.

"أتصور ذلك. من السهل الشعور بالقلق. لكن لا حرج في هذا على الإطلاق. إنه دليل على شغفك بفنك. على الأقل، هكذا أفضّل أن أنظر إلى الأمر، ماذا كنت ترسم، على أي حال؟".

ساندًا وجهه إلى راحته، مد يوزو ذقنه نحو المشهد القابع خلف النافذة الزجاجية.

"البحر. سماء وبحر باللون الأسود، والجزيرة فقط باللون الأبيض. لكن في منتصف الرسمة، بدأت تبدو متكلفة، لذا توقفت. إذ بدا لي تكوينها أشبه بأعمال الهواة على نحو أكثر من اللازم".

"أعتقد أنه لا بأس بذلك. كل الفنانين العظماء هواة في الأساس. لا حرج في هذا على الإطلاق. تبدأ كهاوٍ، وتعمل على أن تصبح محترفًا، ثم تصبح هاويًا من جديد. تمامًا مثل رودين. كان ذلك رجلًا قد اعتنق عبقرية الهواة! لكنني أعتقد أن هذا محل جدال".

أدخل يوزو ورقة الفحم المطوية في كُم الكيمونو الخاص به.

قال، كما لو كان يقطع حبل أفكار هيدا: "لقد سئمت اللوحات. إنها تضجرني حد الموت. والنحت ليس بأفضل منها".

أزاح هيدا شعره الطويل إلى الخلف وأومأ موافقًا. "أنا أعرف هذا الشعور".

"أعتقد أنني أفضل كتابة الشعر. فعلى الأقل القصائد صادقة".

"طبعًا، القصائد رائعة".

"لكنني أخشى الشعور بعدم الرضا". لقد كان مستعدًا للشعور بعدم الرضا حيال أي شيء على الإطلاق. "أفضل ما قد يناسبني هو أن أصبح راعيًا للفنون. سأجني كثيرًا من المال وأغدق به كله على مجموعة من الفنانين الرفيعين مثلك يا هيدا. ما رأيك بهذا؟ لقد سئمت صناعة الفن بنفسي".

نظر يوزو إلى البحر، وذقنه مغروس في راحته، منتظرًا الرد في صمت.

"لا يبدو ذلك سيئًا. أعتقد أنه قد يكون رائعًا بالنسبة إليك. إننا نحتاج إلى مزيد من مثل هؤلاء الأشخاص في العالم. صدقًا". لكن بينما كان هيدا يقول ذلك، ارتعش صوته. لقد شعر بالحماقة لعدم قدرته على دحض أي من هذا الهراء. لكن كبرياءه، إن صح القول، كفنان انجرحت كثيرًا لدرجة تحتم عليه أن يتكلم. استجمع هيدا شجاعته. أوه، ما الذي يمكن قوله!

سأل كوسوجه، متوقعًا أن يكون الرد فضفاضًا: "كيف سارت الأمور مع الشرطة؟".

وجد اضطراب هيدا مخرجًا في هذا التغيير في موضوع الحديث.

قال: "إنهم يتهمونه بالتشجيع على إيذاء النفس"، ثم ندم على ذلك على الفور. لقد كان هذا أكثر فظاظة من اللازم. "لكنني أعتقد أن هناك احتمالًا كبيرًا أن تُرفض القضية".

قفز كوسوجه، الذي كان مستلقيًا على الأريكة، واقفًا وصفق بيديه.

"أنت في مأزق الآن!".

لقد كان يأمل أن يلطف الأجواء، لكن بلا جدوى.

استدار يوزو واستلقى على الفراش ووجهه إلى أعلى.

لا شك أنك تشعر الآن، أيها القارئ العزيز، بالاشمئزاز حيال هؤلاء الشباب لكونهم يقضون وقتهم على نحو هانئ البال، كما لو لم يكن أحدهم قد قتل للتو إنسانًا آخر، لكنني أعتقد أن هذا التطور الجديد سيفجر صيحات الفرح. هذا هو الجزاء الذي يستحقه، إلى آخره. يا لقسوتك! أي جزء مما تراه هنا يوحي بهناء البال؟ ليتك كنت تستطيع استيعاب حزن هؤلاء الذين يزرعون زهور الهزل الرقيقة، لحمايتهم من أخف هبات الرياح مع وجودهم دائمًا على حافة اليأس!

مرتبكًا من التبعات غير المتوقعة لتعليقه، ربت هيدا على ساقي يوزو من فوق غطاء الفراش.

"ستكون الأمور على ما يرام. ستكون الأمور على ما يرام".

سقط كوسوجه فوق الأريكة التي خلفه.

قال متهكمًا: "التشجيع على إيذاء النفس، أليس كذلك؟ هل هذا مخالف للقانون أصلًا؟".

قال يوزو، ساحبًا قدميه إلى الوراء: "بالتأكيد، تُرسَل مباشرة إلى مجموعة السجناء المقيدين. وأنا الذي خلت أنك تدرس القانون!".

ابتسم هيدا بحزن.

"ستكون الأمور على ما يرام. إن شقيقك سيعتني بكل شيء. هذه إحدى نقاط قوته. إنه مفعم بالنشاط".

"إنه يعالج الأمور". أغلق كوسوجه عينيه في رزانة. "ربما لا تكون هناك حاجة إلى القلق، في النهاية. سيدبر شقيقك حلًا ما".

ضحك هيدا قائلًا: "يا وغد".

نهض من الفراش وخلع معطفه، وعلقه على خطاف بجوار الباب.

قال، متقدمًا نحو مدفأة مستديرة مصنوعة من خزف السيتو عند مدخل الباب: "إليك بعض الأخبار الجيدة. بخصوص زوج السيدة". بعد لحظة من التردد، أطرق بعينيه إلى أسفل وواصل كلامه. "لقد قابلنا الزوج في القسم. وتحدث هو وشقيقك معًا، على انفراد، كما ترى. عندما أخبرني شقيقك بما قاله له الرجل، صُدمت. لقد قال إنه لا يريد سنتًا واحدًا، إنما يريد فقط مقابلة الشاب الذي شاركها محاولة الانتحار. وقد رفض شقيقك. وأخبره

بأنك في المستشفى وفي كرب شديد بشأن ما حدث. لذا فقد نظر إليه الرجل بتعاسة وطلب منه أن يخبر شقيقه الصغير بأنه يرسل إليه خالص تحياته، وأنه لا ضغائن بينكما، وأنه يتمنى لك التعافي في القريب العاجل". لكن هيدا أوقف نفسه عن الكلام.

لقد كان منفعلًا؛ كان اختياره للكلمات أقوى من أن يخدم غرضه. كانت تلك نسخة منقحة من القصة، حرفها سخط هيدا المكبوت تجاه شقيق يوزو، الذي تأجج بسبب الطريقة القاسية والماكرة التي ابتسم بها عندما ذكر أن الزوج كان يرتدي ملابس رثة، كشخص يعيش على الإعانة الحكومية.

قال يوزو محدقًا براحة يده اليمنى: "كان ينبغي أن يدعه يزورني. من يظن نفسه؟ المدير؟".

سرت قشعريرة في جسم هيدا البدين.

"صحيح، لكنني أعتقد أنه قد اتخذ القرار الصحيح. من الأفضل أن تظلا أنتما الاثنان غريبين. لقد عاد بالفعل إلى طوكيو، على أي حال. وقد ودعه شقيقك على المحطة. وأعطاه مائتي ين للتعبير عن تعازيه. بل وقد جعله يوقع وثيقة تفيد بأنك لست مقيدًا بأي التزام آخر تجاهه هو أو أقاربه".

أومأ كوسوجه، مادًا شفته السفلية الرفيعة. "إنه يعالج الأمور بالفعل. مائتي ين فحسب؟ يا لها من صفقة!".

عبس هيدا في ألم، وقد بدأ وجهه الممتلئ يلمع في الوهج الدافئ للمدفأة. كان يطارد هؤلاء الأولاد خوفًا من التعرض للانتقادات السلبية في أثناء استمتاعهم بوقت طيب. ومن هنا نبع نمطهم المتمثل في تمكين أحدهم الآخر. كانوا يبذلون قصارى جهدهم لمطابقة مزاج أحدهم الآخر. كان ذلك شرطًا غير منطوق به من شروط صداقتهم. وربما انتهك

كوسوجه اتفاقيتهم، لكنه لم يتمكن من فهم سبب تأثر هيدا العميق بما لا يتعدى كونه ثرثرة أخرى. لقد وجد ضعف الزوج مزعجًا، لكنه لم يتفاجأ من أن شقيق يوزو قد رأى فيه فرصة.

دار هيدا بتثاقل حول فراش يوزو وتوجه نحو النوافذ. ضاغطًا أنفه على الزجاج، راح يحدق بالأمواج، تحت السماء الملبدة بالغيوم.

"أعتقد أن الزوج رجل راقٍ. لا يتعلق هذا بكون شقيقه قادرًا على علاج الأمور أم لا. ليس هذا ما حدث. ذلك الرجل يتحلى بالرقي. هناك شيء جميل يحدث عندما يستسلم إنسان ما. لقد أحرقوا جثتها هذا الصباح، كما تعلم. وقد عاد الرجل إلى طوكيو حاملًا الرماد في جرة. ما زال بوسعي رؤيته، متكئًا على نافذة القطار".

فهم كوسوجه الأمر أخيرًا. وتنهد تنهيدة عميقة. "حكاية مؤثرة".

"أليس كذلك؟ أعتقد أنها رائعة". أدار هيدا رأسه ليرى كوسوجه. لقد أُنقذت الأجواء أخيرًا. "سماع هذا النوع من القصص يجعلني ممتنًا لكوني على قيد الحياة".

معذرة، لكني مضطر إلى التدخل. وإلا فلن أتمكن من الاستمرار. هذه الرواية في حالة فوضى عارمة. إنني أصيب نفسي بالدوار. إن يوزو أكثر من قدرتي على الاحتمال، وكوسوجه أكثر من قدرتي على الاحتمال، وهيدا أكثر من قدرتي على الاحتمال كذلك. إنهم يضيقون ذرعًا بأسلوبي الأرعن وينطلقون بعيدًا على نحو أشبه جدًا بالزئبق المسال. وأنا أحاول الإمساك بأحذيتهم الموحلة وأصيح طالبًا منهم أن يتمهلوا، أرجوكم تمهلوا. إن لم أؤدب أولادي هنا، لا أعتقد أنني أستطيع تحمل الأمر لأكثر من ذلك.

هذه الرواية كانت محكومًا عليها بالفشل من البداية. إذ إن كلها استعراض دون أي مضمون. سواء كتبت صفحة واحدة أم مائة صفحة، فالنتيجة واحدة. لكنني كنت أعرف هذا من البداية. اعتبرني متفائلًا. لقد افترضت أنني في أثناء الكتابة، سأعثر على خصلة ما مُنجِّية. أنا كاتب فاشل، هذا حقيقي. لكن من قال إن العمل الفاشل لا يمكن أن يتمتع بخصلة

مُنجِّية؟ حتى وأنا أشعر بالسأم من نصوصي النثرية المبتذلة المفرطة الحماس، فتشت في كل مكان عن جزء صغير يستحق الإنقاذ. لكن بمرور الوقت، فترت مشاعر قلبي. والآن أنا منهك. مع الأسف، يجب أن تُكتب الرواية من منطلق البراءة! ما الذي تقوله؟ المشاعر الجميلة تنشئ أدبًا سيئًا؟ هراء. لم أسمع قط عبارة بهذا المقت. دون تسامٍ، من يستطيع كتابة رواية حتى نهايتها؟ كل كلمة وكل جملة ستغمر القلب بكثير من المعاني المحتملة، حتى لا يتبقى أمامك أي خيار سوى أن تكسر قلمك إلى نصفين وتلقي به في سلة المهملات.

ما الذي يجعل يوزو أو هيدا أو كوسوجه يتصرفون على هذا النحو الذي لا يحتمل؟ إنهم ببساطة سيفضحون أمر أنفسهم.

رويدك، رويدك. التقط أنفاسك وصفِّ ذهنك.

٥

في تلك الليلة، في وقت متأخر جدًا في الواقع، زار شقيق يوزو غرفته. كان يوزو يلعب الكوتشينة مع هيدا وكوسوجه. عند التفكير في الأمر، ستجد أنهم كانوا يلعبون الكوتشينة في اليوم السابق كذلك، عندما حضر شقيقه في المرة الأولى. لكن هذا لا يعني أن هؤلاء الشباب كانوا يلعبون الكوتشينة طوال اليوم، كل يوم. لا يا سيدي. على العكس، إذ لم تكن لديهم أي رغبة في اللعب على الإطلاق، فهم لم يخرجوا الكوتشينة إلا عندما شعروا بملل شديد كاد يجعلهم يبكون. كانت ألعاب الكوتشينة ملاذهم الأخير، لكن بالرغم من ذلك، كانوا يتجنبون أي لعبة لا تتيح لهم التعبير الكامل عن شخصياتهم. كانت خدع الكوتشينة هي المفضلة لديهم. وكانوا يلهون، مبتكرين نسخهم الخاصة من جميع أنواع خدع الكوتشينة المختلفة، متباهين بمهاراتهم. وتمنعهم كبرياؤهم من الإفصاح عن أسرارهم. وكانوا ينفجرون ضحكًا.

لكنهم كانوا يأخذون اللعبة خطوة أبعد قليلًا. إذ كان أحدهم يضع ورقة كوتشينة مقلوبة على الطاولة ويجعل الآخرين يخمنان. ملكة البستوني؟ ولد السباتي؟ يفكر كل لاعب في الأمر، بتمعن شديد، ثم يخمن تخمينًا عشوائيًا. وتُعدل الورقة، لم يخمنوها على نحو صحيح قط، لكنهم ربما يفعلون يومًا ما، أو هكذا يظنون. ما أروع أن تجد نفسك الشخص المحظوظ!

يكفي قول إن هؤلاء الأولاد لم يكونوا يميلون إلى التنافس المطول. إذ كانوا يحبون المخاطر العالية. كل شيء أو لا شيء. ألعاب تُقَرر نتيجتها في لحظة. ولهذا لم تكن الكوتشينة تخرج لأكثر من عشر دقائق أو نحو ذلك. إطار زمني لا يتجاوز عشر دقائق، مرة في اليوم. وبطريقة ما، وصل شقيق يوزو خلال ذلك الإطار الزمني الضيق مرتين.

هذه المرة، عبس نتيجة لما رآه. مفترضًا خطأً أن هؤلاء الأولاد لم يفعلوا شيئًا آخر. كوتشينة من أول اليوم إلى آخره. إلا إن هذا النوع من الأخطاء البسيطة يعد حقيقة من حقائق الحياة. وقع يوزو في خطأ بسيط كهذا عندما كان في كلية الفنون. في أثناء أحد دروس اللغة الفرنسية خاصته، تثاءب من دون قصد ثلاث مرات مختلفة، ناظرًا إلى عين الأستاذ في المرات الثلاث جميعها. نفد صبر الأستاذ العجوز، الذي كان أحد أبرز أساتذة اللغة الفرنسية في اليابان كلها، مع التثاؤب الثالث ووبخ يوزو توبيخًا شديدًا. "لِمَ يجب أن تهدر وقتي بكل هذا التثاؤب؟ مائة تثاؤب في الساعة الماضية وحدها". الطريقة التي قالها بها، تجعلك تظن أنه قد عد كل تلك التثاؤبات على أصابعه العشرة عشر مرات.

أرأيت ما يحدث عندما ألتقط أنفاسي وأصفي ذهني؟ اتركني وحدي لثانيتين وستجدني أثرثر مجددًا دون توقف. والآن أنا أحتاج حقًا إلى تأديب أولادي. الكتابة من منطلق البراءة أمر يتجاوز آمالي. إلى أين سيقودنا هذا الكتاب بحق السماء؟ هيا نلقِ نظرة أخرى ونلخص ما حدث من البداية.

إنني أكتب رواية عن مصحة، تقع على الساحل. منظر المحيط لطيف جدًا على ما يبدو. والناس في المصحة لطفاء كذلك. ليس من بينهم شخص واحد سيئ. وهذا ينطبق بصورة خاصة على هؤلاء الشباب الثلاثة، الذين هم، سأقولها فحسب، أبطالي. هذا كل شيء. من يحتاج إلى ذريعة معقدة؟ لست أنا. أنا هنا فقط لأناصر هؤلاء الرجال الثلاثة. حسنًا، ها نحن ذا. هيا بنا. لا تجادلني.

ألقى شقيق يوزو تحية سريعة على الجميع، ثم همس بشيء في أذن هيدا. أومأ هيدا ونظر إلى كوسوجه ومانو.

انتظر شقيقه حتى غادر الثلاثة الآخرون قبل أن يوجه كلامه إلى يوزو.

"الأضواء خافتة هنا".

قال يوزو، وهو جالس على الأريكة: "أجل، إنهم لا يسمحون بالأضواء الساطعة في المستشفى. أتود الجلوس؟".

"بالتأكيد". لكن بدلًا من أن يجلس، راح شقيقه يذرع الغرفة الصغيرة جيئة وذهابًا، ناظرًا بصورة متكررة إلى الأضواء الخافتة التي سرقت انتباهه. "لقد سويت لك الأمور نوعًا ما".

قال يوزو بهدوء وهو يحني رأسه: "أشكرك".

"أنا لا يهمني ما حدث، لكن المرة القادمة التي تذهب فيها إلى البيت، ستسمع توبيخًا شديدًا". إنه لم يأتِ اليوم مرتديًا هاكاما. ولسبب غير مفهوم، كانت الأربطة التي تحكم سترة الهاوري السوداء خاصته من الأمام مفقودة. "سأفعل كل ما بوسعي لأساعدك، لكن لو كنت مكانك، لجلست وكتبت لوالدي خطابًا لائقًا. يبدو أنك أنت ورفاقك مستمتعون بوقتكم، لكني أريدك أن تعلم، هذه مسألة جدية".

لم يكن لدى يوزو ما يقوله. فالتقط إحدى أوراق الكوتشينة المتناثرة على الأريكة ونظر إليها نظرة طويلة عميقة.

"إن لم يكن بإمكانك أن تحمل نفسك على فعل ذلك، فلا بأس. بعد غدٍ، سنذهب أنا وأنت إلى القسم. لقد كانوا لطفاء بما يكفي لتأجيل الاستجواب كل هذه المدة. وقد استجوبوني أنا وهيدا اليوم، كشهود رسميين. سألوني عن الكيفية التي تتصرف بها عادة، لذلك أخبرتهم أنك شخص هادئ. وسألوني كذلك إن كانت لديَّ أي شكوك حيال صحتك العقلية، لكنني قلت قطعًا لا".

توقف عن التجول في الغرفة ووقف بجوار المدفأة الموجودة على الأرض بالقرب من يوزو، وقرَّب يديه الكبيرتين إلى قطع الفحم المتقدة. راقب يوزو يدي شقيقه وهو في حالة من الذهول، ملاحظًا ارتعاشهما بصورة طفيفة للغاية.

"لقد سألوني عن المرأة كذلك. قلت إنني لا أعلم أي شيء عنها. ويبدو أنهم قد استجوبوا هيدا عن الأمور ذاتها تقريبًا. ومن حسن الحظ، تطابقت شهادتانا. وأنا أنتظر منك الأمر ذاته. التزم بالحقائق".

فهم يوزو ما كان شقيقه يحاول قوله، لكنه تظاهر بالجهل.

"الحقائق؟".

"لا تخبرهم بأكثر مما هو ضروري. أجب عن كل الأسئلة بوضوح فحسب، أيًا كان ما يسألون عنه".

قال يوزو، وهو يتحسس طرف ورقة الكوتشينة بإصبعه السبابة: "أتساءل إن كانوا سيرفعون دعوى قضائية".

قال له شقيقه، بتشديد أكثر من ذي قبل: "الجزم بذلك صعب. الجزم بذلك أمر صعب. أعتقد أنهم سيحتجزونك لأربعة أو خمسة أيام، على أي حال، من الأفضل أن تستعد. سأعود من أجلك صباح بعد غدٍ. سنتوجه إلى هناك معًا".

راقب شقيقه الجمرات، في صمت لبعض الوقت. اختلط صوت الثلوج المتساقطة بحركة الأمواج.

بدأ كلامه بارتباك قائلًا: "بصرف النظر عن تفاصيل هذه الأحداث"، ثم تبدلت نبرته على نحو متعمد لتصبح أكثر ودًا. "لقد حان الوقت لتفكر إلى أين تتجه حياتك، في المستقبل. عائلتنا ليست ثرية بالقدر الذي تعتقده على الإطلاق. لم يكن حصاد هذا العام وفيرًا. أنا لا أنتظر منك أن تهتم، لكن مصرفنا المحلي يمر بأوقات عصيبة. إنها فوضى عارمة. لا تضحك، لكن سواء كنت فنانًا أم شخصًا عاديًا كبقيتنا، لا بد أن تقلق بشأن تكاليف المعيشة. لكنك في وضع جيد. إذ قد حصلت على فرصة ثانية. ربما عليك أن تحاول بذل بعض الجهد على سبيل التغيير. حسنًا، لقد تأخر الوقت. أعتقد أنه من الأفضل لكم أن يبيت هيدا

وكوسوجه عندي الليلة. إن ظللتم تحدثون ضجة كل ليلة يا رفاق، فستكون العواقب وخيمة".

七

"لديَّ بعض الأصدقاء الرائعين، أليس كذلك؟".

كان يوزو في الفراش، وظهره لمانو. كانت قد رجعت إلى مكانها المعتاد على الأريكة هذه الليلة.

"أتفق معك، ولا سيما كوسوجه". عدلت من وضعيتها بحرص. "إنني أجده مسليًا جدًا".

"أجل. أعني أنه لا يزال يافعًا. فهو أصغر مني بثلاث سنوات، ومن ثم، يبلغ اثنين وعشرين عامًا؟ مثل عمر شقيقي الصغير المتوفى. لقد تعلم مني كل عاداتي السيئة. لكن هيدا وضعه مختلف. هذا الرجل يعرف ماذا يفعل. أموره تحت السيطرة". وتوقف للحظة، ثم أكمل كلامه بصوت أكثر انخفاضًا. "كل مرة أقع فيها في مأزق كهذا، يفعل كل ما بوسعه لمواساتي. إذ إنه يفضل أن يضحك معنا على أن يؤنبنا. إنه شخص قوي، على الأقل في معظم النواحي الأخرى، لكن عندما يتعلق الأمر بمواجهتنا، يكون في منتهى الجبن. ولا يفعل ذلك".

كانت مانو صامتة.

"أتودين أن تسمعي عن هذه المرأة؟".

من الطريقة الفاترة الهمة التي قالها بها، وقد أدار ظهره لها، تظن أن هذا هو آخر شيء قد يرغب في الحديث عنه. عندما كان يوزو يشعر بأقل قدر من الإحراج، لم يكن يعرف كيف يتهرب من الموقف. عوضًا عن ذلك، كانت لديه عادة مؤسفة تتمثل في الإمعان في الإحراج.

بدأ يتحدث، بما أن مانو لم ترد: "إنها ليست قصة مبهرة. لا بد أنكِ قد سمعتِ من قبل، لكن اسمها كان سونو. كانت تعمل في مقهى في جينزا. وقد ذهبت إلى هناك على الأرجح ثلاث مرات فقط، ربما أربع مرات. لم يكن ذلك كافيًا لأن يكتشف هيدا أو كوسوجه الأمر. وأنا لم أخبرهما قط". هل اكتفيت بهذا؟ "ليست قصة مبهرة. لقد أرادت أن تنهي حياتها لأن العيش كان أكبر من قدرتها على الاحتمال. حتى اللحظة الأخيرة، كانت أفكارنا في مكانين مختلفين تمامًا. قبل أن نقفز في الماء مباشرة، قالت لي سونو دون مبرر: ‹إنك تشبه تمامًا زوجي، المدرس›. لقد كانت متزوجة زواجًا مدنيًا. أعتقد أنه كان يدرِّس المرحلة الابتدائية حتى بضع سنوات مضت. فيمَ كنت أفكر، محاولًا إنهاء حياتي مع شخص مثلها؟ لا بد أنني قد أحببتها بحق رغم كل شيء".

لم يعد بالإمكان الثقة بالرجل. كيف يمكن أن يكون هؤلاء الشباب فاشلين إلى هذا الحد في سرد القصص الخاصة بهم؟

"وطوال هذا الوقت، كنت أعمل لصالح الحزب اليساري. موزعًا المنشورات، ومنظمًا التظاهرات، كل أنواع الأمور التي لم أكن مؤهلًا للقيام بها. كان ذلك عبثيًا. لكنه كان عملًا شاقًا. الأمر الذي كان يدفعني إلى الاستمرار هو الوهم المتمثل في كوني شخصًا مستنيرًا نوعًا ما. لكن هذا لم يساعدني على إحراز تقدم كبير. مهما كان مدى كفاحي، كانت الأمور تفشل دائمًا. هناك احتمال كبير أن تنتهي بي الحال في الشوارع، متسولًا. إذا أفلست أعمال العائلة، لا أدري من أين سأحصل على وجبتي التالية. إذ ليست لديَّ أي مهارة أو حرفة. تبًا، أنا بالفعل متسول بدرجة أو بأخرى".

كلما تحدث أكثر، بدا أكثر وضاعة في عيني نفسه. كان هذا هو ابتلاؤه!

"أنا أومن بالقدر. وعدم فرض السيطرة على الأمور. ما أريد فعله حقًا هو أن أرسم. لدرجة لا يمكنك تخيلها". حك يوزو رأسه وضحك. "أن أرسم شيئًا جيدًا ولو لمرة".

لقد قال: أن أرسم شيئًا جيدًا ولو لمرة. وقد قالها وهو يضحك. الشباب لا يقولون أي شيء صراحةً قط. بإمكانك أن تعرف أنهم صادقون إذا اختبئوا خلف ضحكة.

わ

بزغ فجر اليوم. لم يكن في السماء أثر لسحابة. اختفت ثلوج أمس، باستثناء بضع بقع قد تغير لونها تحت ظلال أشجار الصنوبر أو في شقوق درجات السلم الحجري. وتصاعد الضباب من البحر، ضباب لانهائي تُسمع عبره محركات قوارب الصيد وهي تبحر في المياه.

اطمأن المدير على يوزو في الصباح الباكر. بعدما فحصه فحصًا بدنيًا دقيقًا، طرف بعينيه الصغيرتين من خلف نظارته وقدم رأيًا.

"بوجه عام، أرى أنك بحالة جيدة. استرح فحسب. سأحرص على إبلاغ الشرطة بظروفك الحالية. إنك لم تستعِد عافيتك بالكامل، ليس بعد. حسنًا إذًا يا مانو، يمكنكِ إزالة الشاش عن وجهه الآن".

نزعت مانو الضمادة. كانت جروحه قد التأمت. وقد انخلعت القشور مع الأربطة، لتكشف عن بشرة شاحبة لكن بها بقع وردية.

"لا تسِئ فهمي من فضلك، لكنني آمل أن تكون قد تعلمت الدرس".

أشاح المدير بوجهه، بقدر من الخجل، محولًا عينيه إلى البحر.

شعر يوزو بعدم الارتياح كذلك. دون أن ينهض من الفراش، عدل الكيمونو الخاص به ولم يرد بكلمة.

وفي تلك اللحظة، انفتح الباب فجأة، واندفع هيدا وكوسوجه إلى الغرفة بموجة من الضحك الصاخب. تبادل الجميع تحية الصباح. وقال المدير للضيفين إنهما يبدوان على ما يرام، لكن بعدها غشت صوته مسحة من الحزن.

"آخر يوم كامل لكم معنا. سنحزن لرحيلكم".

وبهذا، غادر المدير. وكان كوسوجه هو أول من فتح فمه.

"رجل نبيل بحق. بوجه يشبه الأخطبوط".

كان هؤلاء الشباب مفتونين بالوجه البشري، ومستعدين للحكم على القيمة الكلية للشخص استنادًا فقط إلى ترتيب ملامح وجهه.

قال كوسوجه: "هناك صورة له في المقصف. وهو يرتدي قلاداته".

قال هيدا من فوق كتفه وهو متجه إلى الشرفة: "لوحة رديئة".

اليوم، كان يرتدي كيمونو قد استعاره من شقيق يوزو. كان القماش بنيًا وسميكًا. جلس على مقعد الشرفة المصنوع من الخيزران، حريصًا على عدم اعوجاج رقبة الكيمونو.

"من هذه الزاوية يا هيدا، قد أحسبك فنانًا خبيرًا رغم كل شيء".

انضم إليه كوسوجه في الشرفة.

"يا يوزو، أتود أن تلعب الكوتشينة؟".

سحبوا المقعد إلى الخارج وبدءوا لعبة ليس لها معنى أو غرض.

في منتصف اللعب، تحدث كوسوجه بنبرة جادة.

"ما هذه الوضعية الاستعراضية يا هيدا؟".

"أنت من يتخذ وضعية استعراضية يا أحمق. انظر إلى يديك!".

انفجر الشباب الثلاثة ضاحكين، لكنهم اختلسوا النظر دفعة واحدة إلى الشرفات الأخرى في بقية الجناح. كانت المريضتان بالغرفتين 5 و6 في الخارج كذلك، مستلقيتين على أريكتيهما تستمتعان بأشعة الشمس، وتضحكان بشدة على ما كان الشباب يفعلونه لدرجة أن وجهيهما قد احمرَّا.

"أوه لا! لقد ضُبطنا!".

فغر كوسوجه فمه والتفت إلى يوزو. ضحك ثلاثتهم ضحكات عالية، صائحين بالفعل الآن. كان هؤلاء الأولاد معروفين بهزلهم. إذا أخرج كوسوجه أوراق الكوتشينة، كان هيدا ويوزو يفهمان التلميح ويجاريانه. لقد كانوا يعرفون تسلسل الحركات الراقصة عن ظهر قلب، حتى آخر مشهد في العرض.

متى ما وجدوا أنفسهم في أجواء طبيعية جميلة، فلم يكن بوسعهم أن يمنعوا أنفسهم من تأدية عرض استعراضي. لعلها طريقة لتخليد اللحظة. في هذه الحالة، كانت خلفية مسرحهم هي مشهد البحر الصباحي. لكن صيحات الضحك التي صدرت منهم تسببت في واقعة خطيرة لم يكن من الممكن أن يتوقعها أي منهم.

فكما ترى، تعرضت مانو لتوبيخ عنيف من رئيسة الممرضات في المصحة، أي مديرتها. خلال خمس دقائق من صدور الجلبة من الشرفات، استُدعيت إلى مكتبها، وأُنِّبت بقسوة، وأُرسِلت لإسكاتهم. اندفعت مانو من المكتب باكية. وعند وصولها إلى الأصدقاء الثلاثة لإخبارهم بشأن ما حدث، كانوا قد انتهوا من لعب الكوتشينة وكانوا يسترخون في الغرفة.

أحبط الخبر الأولاد أيما إحباط؛ كل ما كان بوسعهم فعله هو أن ينظر أحدهم إلى الآخر. لقد دمر صوت العقل كوميديتهم المبتهجة، إذ أمرهم بالكف عنها وضحك منهم، لا معهم، مفسدًا المرح. لقد كانت ضربة شبه قاتلة.

قالت مانو، كما لو كان دورها هو مواساتهم: "إنكم لا تزعجون أحدًا. لا أحدًا من المرضى الموجودين في هذا الجناح في حالة حرجة. واسمعوا هذا: في الليلة الماضية، صادفت والدة الفتاة الموجودة بالغرفة 5، في الردهة، وقد أخبرتني بأنها ممتنة لمدى ودية الأجواء هنا. وقالت إنها هي وابنتها كانتا تضحكان كل يوم على كل الأشياء الطريفة التي يقولها جيرانها. كل الأمور على ما يرام. لا حاجة إلى القلق".

قال كوسوجه، ناهضًا من الأريكة: "لا. الأمور ليست على ما يرام. لقد تعرضتِ، بسببنا، للتوبيخ. لِمَ لا يمكنها أن تأتي إلى هنا وتخبرنا وجهًا لوجه؟ إنني أرى أن تحضريها إلى هنا. إذا كانت تكره وجودنا هنا إلى هذا الحد، فما عليها إلا أن تطردنا. سيسعدنا أن نرحل في أي وقت".

في لمح البصر، كان الأصدقاء الثلاثة قد اتخذوا قرارهم. سوف يغادرون. لا سيما يوزو، الذي كان يتخيل بالفعل أربعتهم وقد استقلوا سيارة سريعة معًا، وهربوا هروبًا مذهلًا على الساحل.

نهض هيدا من الأريكة كذلك. وكان مبتسمًا.

"ما رأيكم بهذا؟ دعونا نذهب إلى هناك بأنفسنا ونوبخ رئيسة الممرضات توبيخًا شديدًا. سنريها كيف تزجرنا!".

قال كوسوجه: "هيا نذهب من هنا". ووكز الباب بإصبع قدمه. "من يرغب في البقاء في مستشفى رديء؟ لا يهمني إن تعرضت للزجر. ما يزعجني هو الكيفية التي كانوا يعاملوننا بها حتى الآن. يبدو أنهم يروننا مجرد مجموعة من التافهين، برجوازيين مدعين حمقى بلا شخصية، ساذجين".

عندما انتهى كوسوجه، ركل الباب مجددًا، بقوة أكبر قليلًا هذه المرة. لكنه عندئذٍ انفجر ضاحكًا، غير قادر على تمالك نفسه.

ألقى يوزو بنفسه على الفراش بقوة كبيرة جعلت النوابض تصدر صريرًا. "إن كنت أنت تافهًا، أعتقد أن هذا يجعلني رومانسيًا شاحب البشرة. لا يمكن أن أسمح بهذا".

غلت الدماء في عروقهم عقب هذه الوقاحة الهمجية، لكن بعد لحظة تأمل حزينة، تجاهلوا الأمر كما لو كان مزحة. كان هذا هو أسلوبهم.

إلا إن مانو كانت صريحة. فقد شبكت ذراعيها الاثنتين خلف ظهرها، واستندت إلى الجدار المجاور للباب ومدت شفتها العليا المجعدة، لتتجعد أكثر.

"أنت على حق تمامًا. لقد عاملوكم بازدراء. في الوقت نفسه، لا يبدو أن أحدًا يهتم بأن جميع الممرضات في الليلة الماضية قد حظين بوقت رائع في المكتب وهن يلعبن لعبة الكاروتا".

قال يوزو: "بالضبط. كان بوسعي سماع صياحهن حتى ما بعد منتصف الليل بكثير. غباء شديد، إن أردتِ رأيي".

التقط يوزو إحدى أوراق الفحم المبعثرة على الفراش وبدأ يرسم، وهو مستلقٍ.

"رئيسة الممرضات تضمر نوايا سيئة، مما يجعلها تعجز عن رؤية الخير في الآخرين. لقد سمعت أنها تقضي لياليها مع المدير".

"حقًا! لقد بدأت تروقني". امتلأ كوسوجه بالحماس. إذ كان الأولاد يعتبرون الفضيحة فضيلة.

كان لا يزال هناك أمل بالنسبة إلى الممرضة العجوز. "حسنًا إذًا، السيد قلادات لديه خليلة، أليس كذلك؟ لقد بدأ هذان الاثنان يروقانني".

"لكن صدقًا، لم يفعل أي منكم شيئًا خطأً. إنكم تستمتعون بوقتكم فحسب. بعض المزحات البريئة، قليل من الضحك. لِمَ لا يمكنها تفهم الأمر؟ فقط تجاهلوها تمامًا. استمتعوا بوقتكم

بقدر ما يروقكم. ذلك لا يزعجني على الإطلاق. هذا آخر يوم كامل لكم هنا. أنا مندهشة، رجال لطفاء مثلكم، ومن عائلات محترمة، ولم يسبق لكم التورط في المشكلات قط، طوال حياتكم...".

ضغطت مانو بإحدى يديها على وجنتها. وبدأت تبكي بحرقة. فتحت الباب وهي ما زالت تبكي.

حاول هيدا إيقافها. "لا تذهبي إلى هناك. انتظري. الأمر لا يستحق كل ذلك".

مغطية وجهها بيديها، أومأت أكثر من مرة وخرجت إلى الردهة.

قال كوسوجه، بمجرد أن خرجت مانو: "إنها نصيرة للعدالة". وابتسم بمكر وجلس على الأريكة. "كانت تلك دموعًا حقيقية. أعتقد أن خطابها ذاك جعل تفكيرها يختل. إنها قد تتحدث كأحد البالغين، بكل مهنية، لكنها امرأة في النهاية".

راح هيدا يتمشى في الغرفة الصغيرة جيئة وذهابًا. "إنها غريبة بالفعل. لطالما كنت أعرف أن هناك شيئًا غريبًا بخصوصها. هناك شيء ما يجري. لقد أفزعتني عندما بدأت تبكي واندفعت نحو الباب. كان بوسعي أن أجزم أنها كانت ستتجه مباشرة إلى رئيسة الممرضات".

قال يوزو، متصنعًا الرزانة: "إنها لن تفعل ذلك أبدًا"، ثم قدم لكوسوجه الرسمة التي رسمها على ورقة الفحم.

"يا للروعة! هل هذه صورة رئيسة الممرضات؟".

ضحك كوسوجه بشدة لدرجة أنه كاد يسقط أرضًا.

"ما الأمر الآن؟". ألقى هيدا نظرة على ورقة الفحم. "امرأة متوحشة. عمل متقن. هل هكذا تبدو حقًا؟".

قال كوسوجه: "صورة طبق الأصل. لقد أتت إلى هنا مرة، كما تعلم، مع المدير. عمل ممتاز. مهلًا، أعطني هذا".

أخذ كوسوجه القلم من يوزو وأضاف شيئًا إلى الرسمة.

"تفضل، زوج جميل من القرون. الرسمة الآن تشبهها بحق. لنلصقها على باب مكتبها، ما رأيك؟".

"هيا بنا، حان الوقت للتمشية".

نهض يوزو من الفراش ومدد عضلاته. وبينما كان يفعل ذلك، قدم لنفسه إطراءً صغيرًا.

"تمشية مع خبير الكاريكاتير".

か

خبير الكاريكاتير! أعتقد أن صبري على ذاتي بدأ ينفد أخيرًا. هل هذه رواية رخيصة أم ماذا؟ لقد كنت آمل أن يكون هذا المشهد بمنزلة ترياق ما لأعصابي المتوترة، وأعصابك كذلك أيها القارئ العزيز، لكن ذلك الجزء الأخير كان مبتذلًا أكثر من اللازم. إن أصبح هذا الكتاب من الكلاسيكيات، يا إلهي، هل فقدت عقلي؟ إن ضرر هذه التعليقات الجانبية أكبر قطعًا من نفعها بالنسبة إليك. إنك لا تحتاج إليَّ. فأنت تستطيع استخلاص استنتاجاتك الخاصة، أمور لا يمكن للمؤلف أبدًا أن يتصورها. وعندئذٍ ستعلن سبب كون هذه الرواية من الكلاسيكيات، بصوت عالٍ يسمعه الجميع.

يا لحسن حظ الخبراء الراحلين! في حين أن الفاشلين هنا بين الأحياء يهدرون إمكانياتهم، دافنين أعمالهم في تعليقات غير موفقة، على أمل أنها قد تحظى بإعجاب ولو حتى قارئ واحد آخر. والنتيجة هي عمل مقيت، مثقل بتعليقات جانبية مملة لدرجة سخيفة. مع الأسف، أنا أفتقر إلى الشجاعة اللازمة لأن أصفع وجهي وأصيح: "اجمع شتات نفسك يا رجل!".

لا أظن أنني سأصبح كاتبًا عظيمًا قط. أنا مرهف الحس. سأقر بذلك. لقد تبينَّا هذا على الأقل. مرهف الحس تمامًا. لكنني أجد سلامًا، وإن كان عابرًا، في حسي المرهف. آه، لم يعد ذلك يهم. انسَ ما قلته. يبدو أن زهور الهزل قد ذبلت في النهاية. وقد تحولت بعد ذبولها إلى ركام وضيع منفر قذر كذلك.

الرغبة في بلوغ الكمال. سحر التحفة الفنية.

يا صانع المعجزات، لقد طفح الكيل! لماذا أنا؟

كانت مانو مختبئة في الحمام. على وشك البكاء حتى تجف عيناها. لكنها لم تبكِ طويلًا. محدقة بالمرآة، مسحت دموعها، ورتبت شعرها، واتجهت إلى المقصف لتناول وجبة إفطار متأخرة.

على إحدى الطاولات المجاورة للمدخل، كان الطالب الجامعي الموجود بالغرفة 1 يجلس أمام صحن حساء فارغ، ويبدو ضجرًا لأقصى حد.

رؤية مانو جعلته يبتسم.

"يبدو أن الرجل الجديد في حالة جيدة".

وقفت مانو معه للحظة هناك، ممسكة بإحدى زوايا الطاولة.

"بالتأكيد. مزحة بريئة تلو أخرى، مضحكًا إيانا جميعًا".

"فعلًا؟ هذا ممتاز. إنه فنان، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح. إنه دائمًا ما يقول إنه يود أن يرسم شيئًا استثنائيًا". وقد جعل هذا وجه مانو يحمر بالكامل. "إنه جدي. لكن كون المرء جديًا، أو جديًا على هذا النحو، قد يغرقه في دوامة من الألم".

"هذا صحيح تمامًا. هذا صحيح تمامًا".

احمرت وجنتا الطالب، متفقًا معها من صميم قلبه. فحقيقة أنه قد حصل على تصريح بالعودة إلى المنزل في القريب العاجل ارتقت به إلى آفاق جديدة من سماحة النفس.

يا لها من فتاة فياضة المشاعر. قل لي أيها القارئ، من لا يحب امرأة كهذه؟ تبًا! أدري، أدري، لا بد أنني أبدو قديم الطراز على نحو ميئوس منه. تفضل إذًا، اضحك. عند هذه النقطة، حتى السلام العابر أكبر من قدرتي على الاحتمال. ليس بوسعي أن أحب امرأة دون أن

أخنقها بالتعليقات. وهذا دليل على أنه إذا كان الرجل غبيًا بما فيه الكفاية، يمكنه التسبب في الأذى دون أن يحرك ساكنًا.

٤

"ها هو، ذلك المكان هناك".

أشار يوزو إلى جرف منبسط كبير يمكن رؤيته من خلال فروع شجرة كمثرى. في أماكن متفرقة، كانت ثلوج أمس عالقة في تجاويف الصخور.

قال، وقد اتسعت عيناه، كأنه يقول طرفة: "ذلك هو المكان الذي قفزنا منه".

كان كوسوجه صامتًا. لم يسعه إلا أن يتساءل عما كان يدور في قلب يوزو، خلف إلقائه المتزن. وهذا لا يعني أن يوزو قد بدا حياديًا، لقد كان يعرف فحسب كيف يقول مثل هذه الأشياء دون أن يجفل.

سأل هيدا، ممسكًا الكيمونو الخاص به بكلتا يديه لإبقاء طرفه بعيدًا عن الرمال: "هل نعود؟".

استدار ثلاثتهم وساروا عائدين إلى الشاطئ. كان البحر ساكنًا. وتحت شمس الظهيرة، كانت صفحته بيضاء.

ألقى يوزو حجرًا في المياه.

"كان شعورًا رائعًا. إذ كنت أعلم أنه في اللحظة التي أقفز فيها، ستتلاشى كل مشكلاتي. لا مزيدًا من القلق بشأن الديون، أو الأكاديمية، أو العائلة، أو أوجه الندم، أو تحفتي الفنية، أو الخزي، أو الماركسية، أو حتى بشأن أي من أصدقائي، أو الأشجار أو الزهور. فجأة، وجدتني واقفًا على ذلك الجرف أضحك. كان شعورًا رائعًا".

راح كوسوجه يجمع الأصداف لإخفاء توتره.

ضحك هيدا مكرهًا.

"لا تجعل الأمر يبدو جيدًا أكثر من اللازم. هذا يخيفني".

ضحك يوزو كذلك. كان لوقع أقدامهم على الرمال صوت تهشم مبهج.

"لا تنزعج. لقد كنت أبالغ". ولمس يوزو كتف هيدا بكتفه في أثناء سيرهما. "لكن إليك قدرًا من الحقيقة. أتود أن تعرف بماذا همست في أذني قبل أن نقفز مباشرة؟".

ضيق كوسوجه عينيه. وقد اتقدتا بفضول مميت. وظل محافظًا على المسافة بينه وبين الاثنين الآخرين.

"بإمكاني سماعها الآن. لقد قالت: أفتقد الطريقة التي كنا نتحدث بها في ديارنا. لقد نشأت في مكان يبعد عن هنا جنوبًا بمسافة كبيرة، كما ترى".

"كفى. هذا أكثر من اللازم!".

"لكنه حقيقي. صدقًا. هاه. أمر متوقع منها".

كان أحد قوارب الصيد الكبيرة قد سُحب على الرمال. وبجانبه كانت هناك سلّتا سمك خلابتان، كان عرض كل منهما ثمانية أقدام تقريبًا. صوب كوسوجه على هيكل القارب الأسود وألقى بجميع الأصداف التي كان قد جمعها برمية واحدة.

ظلوا صامتين لبرهة. وقد شعر الأولاد الثلاثة بإحراج شديد كاد يخنقهم. إن مرت دقيقة أخرى، كان من الممكن أن يلقوا بأنفسهم جميعًا في البحر.

لكن عندها كسر كوسوجه الصمت.

صاح، مشيرًا إلى نقطة أمامهم على الشاطئ: "انظرا، انظرا! إنهما الغرفتان 5 و6!".

كانت الشابتان متجهتين إلى الشاطئ حاملتين مظلتين بيضاوين تدوران فوقهما، وهو أمر غريب بالنسبة إلى شهر ديسمبر.

"أخيرًا!". كانت الحياة قد دبت في يوزو من جديد.

"أترغبان في إلقاء التحية؟". رفع كوسوجه إحدى فردتي حذائه لنفض الرمال عنها، ثم نظر إلى يوزو، منتظرًا الإشارة. مستعدًا للانطلاق بمجرد أن يقول الكلمة.

"رويدك".

نظر هيدا إلى كوسوجه نظرة صارمة وأمسك بكتفه.

تأرجحت المظلتان وتوقفتا عن الدوران. بدا أن الفتاتين تتناقشان في أمر ما، لكنهما سرعان ما استدارتا وانطلقتا بسرعة.

"بإمكاننا اللحاق بهما". كان يوزو هو الممتلئ بالحماس الآن، لكنه عندئذٍ رأى وجه هيدا العابس. "لا عليكما".

كان هيدا حزينًا حزنًا يائسًا. إذ كان، في تلك اللحظة، مدركًا تمام الإدراك لطبعه الفاتر، والقوى التي تسحبه بعيدًا عن صديقيه. وتساءل إن كان اللوم في ذلك يقع على الاختلاف بين أنماط حياتهم، إذ كان هيدا فقيرًا نسبيًا.

"إنها علامة جيدة، إن أردتما رأيي". هز كوسوجه كتفيه كأحد ممثلي هوليوود المتأنقين. لقد كان يحاول أن يفعل كل ما في وسعه لمعالجة الموقف. "لقد رأتانا نتمشى هنا وأتتا لإلقاء نظرة. مجرد فتاتين. مسكينتان. إنهما مضطربتان للغاية. انظرا، إنهما تجمعان الأصداف الآن. تقلدان ما رأتاه".

لم يتمكن هيدا من منع نفسه من الابتسام، لكنه لمح يوزو ينظر إليه والأسى في عينيه. احمرت وجوههم رغمًا عنهم. لقد كان بينهم تفاهم. إذ كانت قلوبهم ممتلئة بالرغبة في

مواساة أحدهم الآخر. لقد كانوا ضعفاء أمام الهشاشة.

سار الأولاد الثلاثة عائدين إلى الشاطئ، وهم يشعرون بالدفء البسيط لنسيم المحيط، ويشاهدون المظلتين البعيدتين.

أسفل المصحة البيضاء، وعلى مسافة أبعد على الساحل، وقفت مانو تنتظر عودتهم. وقد وضعت يدها اليمنى على جبهتها كأنها حافة قبعة، لحجب وهج الشمس.

た

في الليلة الأخيرة، كانت مانو مفعمة بالنشاط. حتى بعد ذهابهما إلى الفراش بوقت طويل، ظلت تثرثر بشأن تنشئتها المتواضعة ونسبها النبيل. ومع تقدم الليل، قلّت استجابة يوزو. وقد أدار ظهره لها وقدم ردودًا مبهمة، إذ كانت أفكاره في مكان آخر.

في لحظة ما، شاركت مانو أخيرًا القصة المتعلقة بالندبة الموجودة فوق عينها.

"حسنًا، عندما كنت في الثالثة من عمري...". كانت قد بدأت كلامها بلا مبالاة، لكنها ارتبكت واختنق صوتها. "ما حدث هو أنني قد أوقعت مصباحًا وأحرقت نفسي. أشعرني الأمر بإحراج رهيب لفترة طويلة جدًا. عندما ذهبت إلى المدرسة الابتدائية، بدت الندبة كبيرة جدًا جدًا على وجهي. كان أصدقائي في المدرسة ينادونني هوتارو. هوتارو...".

يراعة. خفت صوتها للحظة.

"كانت تلك هي كنيتي. لكن في كل مرة كانوا يقولونها، كنت أشعر بهذا الاحتياج الجنوني إلى الانتقام. وكنت أعني ذلك بحق، أيضًا. لقد أردت التمتع بالسلطة".

ضحكت بينها وبين نفسها.

"أمر سخيف جدًا. السلطة على ماذا؟ ربما ينبغي لي فقط أن أرتدي نظارة. إذا ارتديت نظارة، أجزم أن رؤية الندبة ستصبح أصعب قليلًا عندئذٍ".

قال يوزو باندفاع، كما لو كان قد شعر بإهانة شخصية: "بحق السماء! ذلك لن يزيد الأمر إلا سوءًا". عندما كان يشعر بالحب تجاه امرأة ما، كانت لديه طريقة غريبة للتعبير عنه -وقديمة الطراز حتى حينها- من خلال التعامل بقسوة. "لا بأس بها كما هي. بالكاد يمكن ملاحظتها. هيا، فلننَم قليلًا. سنستيقظ في الصباح الباكر".

كانت مانو صامتة. وراحت تفكر، غدًا سيودع أحدنا الآخر. لكنني بالكاد أعرفه. عار عليَّ، عار عليَّ. أين شعوري بالكرامة؟ سعلت وتنهدت ووكزت المرتبة يمينًا ويسارًا، متقلبة بحدة.

تظاهر يوزو بعدم ملاحظة ذلك. ولا أدري ماذا كان يدور في ذهنه.

بدلًا من ذلك، سأطلب منك الآن أن تنصت إلى صوت الأمواج وصيحات طيور النورس، بينما نعاود النظر في أحداث الأيام الأربعة الماضية. قد يصف الشخص الواقعي العنيد هذه الأيام بأنها مهزلة كبيرة. لكن المهزلة الفعلية هي حقيقة أن هذه المخطوطة عند إرسالها إلى محرري قد قضت معظم وقتها كقاعدة لإبريق الشاي الخاص به وقد أُعيدت إليَّ عبر البريد وعلى صفحتها الأولى حلقة سوداء كبيرة مُحرَقة. المهزلة الفعلية هي الطريقة التي ألوم بها ماضي زوجتي المظلم على متاعبي، وأنا أتأرجح بين السرور والأسى. المهزلة الفعلية تكمن في الطريقة التي أعدِّل بها ياقتي وأنا أدخل منخفض الرأس إلى محل الرهن، معتقدًا أن التأنق سيخفي إلى أي مدى قد انحدرت بي الحال. نحن جميعًا مجموعة من المهرجين. إذا أردت أن ترى مهزلة، فانظر في المرآة.

الإنسان المنسحق تحت وطأة الواقع يتظاهر بالجَلَد. إن كان ذلك أبعد من إدراكك، أيها القارئ العزيز، إذًا فأنا وأنت لن يفهم أحدنا الآخر أبدًا. الحياة مهزلة، لذا من الأفضل أن نجعلها مهزلة جيدة. لكن الحياة الحقيقية ميدان قد لا أبلغه قط. أقصى آمالي هي التشبث بذكرى هذه الأيام الأربعة، الحافلة بالتعاطف. أربعة أيام تساوي أكثر من خمسة أو عشرة أعوام من حياتي. أربعة أيام تساوي أكثر من حياة كاملة.

كان بإمكانه سماع مانو تتنفس بهدوء. لقد خلدت إلى النوم. لم يكن بوسع يوزو احتواء حماسه. استدار ليواجهها، وقد تلوى جسمه النحيل بسرور، لكن في تلك اللحظة همس صوت أجش في أذنه قائلًا:

توقف! يجب ألا تخون ثقة هوتارو.

れ

مع أولى بوادر الصباح، كان كلاهما قد استيقظ بالفعل. كان ذلك هو اليوم الذي سيُسمح فيه ليوزو بمغادرة المستشفى. لقد كنت أخشى حلول هذا اليوم... من منطلق الإعجاب المنفر لشخص فاشل. كنت آمل أنني، بكتابة هذه الرواية، سأتمكن بطريقة ما من إنقاذ يوزو. أو بالأحرى، كنت آمل أن تكفر الرواية عما فعلته، أنا الثعلب المخادع الذي فشل في العيش وفقًا لمبادئه البايرونية. كان هذا دعائي السري، الذي خبأته بين طيات معاناتي. لكن مع اقتراب ذلك اليوم المشئوم، شعرت أن إحساسًا بالأسى، أقوى بكثير من ذي قبل، يعود لمطاردتي أنا ويوزو. هذه الرواية فاشلة. إذ إنها تفتقر إلى العقدة، والحل. يبدو أنني أوليت الأسلوب اهتمامًا أكبر من اللازم. كنتيجة لذلك، صارت القصة هراءً منمَّقًا. إذ قد أثقلتها بأشياء كثيرة لا يحتاج أحد إلى سماعها. لكنني أغفلت كذلك كثيرًا من التفاصيل المهمة. لا أقصد أن أقول كلامًا طنانًا، لكن إن عشت حياة طويلة وأعدت الاطلاع على هذه الصفحات في وقت ما في المستقبل، فسأشمئز قطعًا مما سأجده. قبل أن أتمكن من إكمال صفحة واحدة، سأقشعر شاعرًا بقدر غير محتمل من بغض الذات وأغلق الكتاب. حتى في الوقت الحالي، لديَّ ما يكفي بالكاد من القوة اللازمة لإعادة قراءة ما كتبته. آه، لا يجب أن يفضح الكاتب نفسه على هذا النحو أبدًا. سيتسبب هذا في فشله. مشاعر جميلة، هذه هي الطريقة التي ننشيء بها أدبًا سيئًا. لقد استخدمت هذه العبارة ثلاث مرات حتى الآن. أتعلم شيئًا؟ أنا أؤيدها.

إنني لا أعرف أي شيء عن الأدب. ربما ينبغي لي أن أبدأ من جديد، من مبتدأ الطريق. لكن من أين، أيها القارئ العزيز، ينبغي لي أن أبدأ؟

ما أنا سوى كتلة متشابكة من الشك والكبرياء؟ وهذا يلخص هذه الرواية بصورة تقريبية. آه، لِمَ أعجل بإصدار الأحكام على كل شيء؟ من غرس بي هذه الضرورة الملحة إلحاحًا مرَضيًا للتعبير عن كل فكرة من الأفكار؟

هل أكتب البقية؟ المشهد الأخير في بلو بايتز. لا يمكن أن تسير الأمور إلا في اتجاه واحد.

اقترحت مانو أن يتسلقا التل، لرؤية المنظر الطبيعي.

"إنه مبهج للغاية. إن أسرعنا، فسنتمكن من رؤية جبل فوجي".

حافظ يوزو على دفء رقبته بوشاح صوفي شديد السواد. وارتدت مانو، فوق زي الممرضات الخاص بها، سترة هاوري ذات نقشة تشبه أوراق الصنوبر المستدقة، ثم لفت نفسها بشال أحمر عدة مرات، شبه دافئة وجهها.

ارتديا صندلي الجيتا الخشبيين الخاصين بهما وسارا يطقطقان بالصندلين نحو المرج الموجود خلف المصحة. في الجهة الشمالية من المنطقة كان هناك جرف من الطين الأحمر، مزود بسلم معدني ضيق. اختارت مانو أن تصعد أولًا، منطلقة برشاقة على درجات السلم.

وجدا جانب التل مغطى بحشائش جافة محملة بالجليد.

نفخت مانو على أطراف أصابعها لتدفئتها وواصلت التقدم على مسار التنزه، تكاد تجري. كان بوسعهما رؤية أنفاسهما. كان مسار التنزه يميل إلى أعلى ميلًا تدريجيًا مع كثير من الالتفافات والانعطافات. راح يوزو يخطو على الجليد، محاولًا اللحاق بها. وأخذ يصفر لحنًا مرحًا في الهواء الشديد البرودة. لم يكن هناك أحد غيرهما على التل بأكمله. كان بوسعهما فعل أي شيء يريدانه. وقد لطف الصفير الأجواء. إذ لم يكن يريد أن تسيء مانو فهم الموقف.

كان مسار التنزه ينحدر باتجاه أحد الأودية. وقد كان مغطى كذلك بحشائش جافة من نبات السعد. توقفت مانو هناك للحظة. وتوقف يوزو خلفها بخمس أو ست خطوات. كان هناك مبنى أبيض يشبه الخيمة قبالة مسار التنزه مباشرة.

أشارت مانو إلى الخيمة.

"هذا مركز للاستمتاع بأشعة الشمس. يُسمح للمرضى ذوي الأعراض البسيطة بالقدوم إلى هنا والاستلقاء تحت أشعة الشمس. حتى في هذا الوقت".

لمع الجليد على قماش الخيمة.

قال يوزو: "هيا نواصل المسير".

لسبب ما، شعر بالتوتر.

انطلقت مانو مرة أخرى. وتبعها يوزو. وصادفا نفقًا من الأشجار الأرزية الرفيعة. كان كلاهما متعبًا، لذلك أبطئا من وتيرتهما وصارا يتمشيان على مهل.

كانت كتفا يوزو تعلوان وتهبطان مع تنفسه، وتحدث مع مانو بصوت جهوري.

"أخبريني، هل ستضطرين إلى البقاء هنا في رأس السنة؟".

دون أن تلتفت، أجابت بصوت عالٍ بالقدر ذاته.

"لا، أعتقد أنني سأعود إلى طوكيو!".

"في هذه الحالة، تعالي وألقي السلام. إن هيدا وكوسوجه يأتيان كل يوم تقريبًا. لا يبدو أنني سأستقبل السنة الجديدة في زنزانة. ستسير الأمور على ما يرام، أنا واثق بذلك".

في مخيلته، التفت إليه المدعي العام الغامض وغمز بعينه.

هل أنهي الرواية هنا؟ إن الخبراء القدامى دائمًا ما ينهون الكلام بتألق، بشيء غني بالمعاني. لكن هذا النوع الواهي من السكينة قد أضجرني نوعًا ما، وأضجر يوزو، وأجزم أنه قد أضجرك أنت كذلك أيها القارئ العزيز. من يهتم برأس السنة أو المدعي العام؟ هل مسألة

المدعي العام قد خطرت بذهنك أصلًا؟ إننا جميعًا نرغب في الوصول إلى القمة فحسب. ماذا يوجد هناك؟ ما عساه أن يكون؟ مصدر أملنا الوحيد المتبقي، وإن كان وهميًا.

أخيرًا، وصلا إلى الأعلى. كانت القمة قد سُويَّت، مشكِّلة مساحة خالية تربتها حمراء. وفي منتصفها كان هناك مأوى نزهات منخفض السقف، به جذوع شجر بمنزلة أعمدة، ومرصوف بالبلاط وما شابه. كان كل شيء مغطى بطبقة خفيفة من الجليد.

صاحت مانو، وقد صار طرف أنفها ورديًا من البرد: "تبًا. لا يمكننا رؤية جبل فوجي بعد كل شيء! عادة ما يكون المنظر مثاليًا من هنا".

أشارت إلى السماء الملبدة بالغيوم في الشرق. لم تكن شمس الصباح قد لاحت بعد. وتصاعدت غيوم منخفضة بأغرب الألوان وتساقط منها المطر ثم استقرت، إلا أنها لم تستقر طويلًا قبل أن تتلاشى.

"كلا، لا عليكِ".

لمس نسيم خفيف وجنتيهما.

أطل يوزو على المحيط، على مسافة كبيرة في الأسفل. لقد كان على بعد بضع خطوات فحسب من منحدر عمودي ارتفاعه ثلاثمائة قدم، وأسفله كانت إينوشيما عبارة عن نتوء صغير قبالة الساحل مباشرة. تحت ضباب الصباح الكثيف، كانت مياه البحر تتماوج.

وعندئذٍ... لا، هذا كل ما لديَّ.

ترجمة سام بيت

لأول مرة باللغة الإنجليزية، رواية أوسامو دازاي الفكاهية جدًا والمؤثرة للغاية والتي تمهد لرواية *No Longer Human*

تبدأ رواية *زهور الهزل* في مصحة ساحلية حيث يرقد يوزو أوبا -راوي رواية *No Longer Human*- متعافيًا بعد محاولة انتحار فاشلة. إذ يزوره الأصدقاء والعائلة، وتدخل وتخرج الممرضات وضباط الشرطة من غرفته. وفي ظل هذه الخلفية المحبطة، يحاول يوزو وزواره إبقاء الأجواء مرحة، بل وحتى هزلية: حيث يلعبون الكوتشينة، ويدخنون السجائر، ويسعون للفت الانتباه، ويطلقون النكات، ويحاولون إضحاك أحدهم الآخر. يشتهر دازاي بالغوص في أحلك زوايا الوعي الإنساني، لكنه في *زهور الهزل* يتهكم على هذه المشاعر ذاتها: حماقات وصعوبات الشباب، والحب، وكراهية الذات، والاكتئاب. تقدم رواية *زهور الهزل* لمحة سريعة عن حياة مجموعة من الدخلاء في فترة ما قبل الحرب في اليابان، وهي تمثل إضافة مبتكرة وكوميدية سوداوية لأعمال أوسامو دازاي الأدبية البارعة والآسرة.

"ما أكرهه بشأن دازاي هو أنه يفضح على وجه التحديد
أكثر ما أريد إخفاءه بداخلي".
- يوكيو ميشيما

"كان دازاي صعلوكًا أرستقراطيًا، وجانحًا بحسب وصفه هو شخصيًا،
ومع ذلك فقد كان يكتب بجَلَد كاتب ممتنع عن الطعام".
- باتي سميث

كان **أوسامو دازاي** (1909-1948)، مؤلف روايتيّ ***No Longer Human*** و ***The Setting Sun***، يشتهر بالتصدي المباشر للأزمات الاجتماعية والأخلاقية لفترة ما بعد الحرب في اليابان. وقد انتحر بالقفز في قناة تاماجاوا المائية في طوكيو. **سام بيت** هو كاتب قصص خيالية ومترجم ياباني. وقد فازت ترجمته لقصة *Star* ليوكيو ميشيما بجائزة لجنة الصداقة اليابانية الأمريكية لترجمة الأدب الياباني لعام 2019-2020.

ISBN 628-1072-16-921-3
6 281072 169213
282210343

امسح الكود للنسخة الإلكترونية

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ... ليست مجرد مكتبة

1. الغلاف
2. 2
3. أيضًا بقلم أوسامو دازاي
4. 4
5. い
6. ろ
7. は
8. に
9. ほ
10. へ
11. と
12. ち
13. り
14. ぬ
15. る
16. を
17. わ
18. か
19. よ
20. た
21. れ
22. 22